





حياتك عفنة



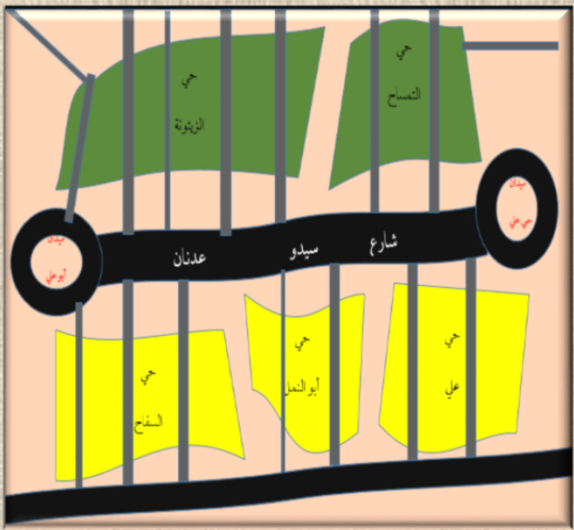
منشورات مكتبتي الخاصة

الروايات الاجتماعية

٢٠

جمال شاهين

٢٠٢٥



حياتك عفنة

٥

منشورات مكتبتي الخاصة

١٤٤٧- ٢٠٢٥

حياتك عفنة

جمال شاهين

قسم الروايات الاجتماعية ٩



شارع سيدو عدنان

٥

عرفنا بعضنا منذ أول الدنيا قبل المدرسة ، كنا أبناء مدرسة أساسية واحدة ، كان شرسا مع الطلاب ، منذ دخنا أول سيجارة سوية عرفنا السينما والمقاهي والخمارات والفاحشة ، ولما ترملت أمي لم أقم بالواجب اتجاه الأسرة ، عشت حياتي الحرة بنزعي وشاركت في قضية خطف بدون تدبر والقصد إنقاذ الفتاة من القتل وكذلك صديق المراهقة ، رحلوا لبلد آخر فسكنت روحي من هواجس الجريمة والخطف ، ثم بعد حين قتل رفيقي في بيروت والفتاة أصبحت تعمل في بيوت الخنا ، وتزوجت بائعة شنطة عرفتها أيام الوكالة للألبسة الجاهزة ، دهس زوجها ومات ، فتزوجها جارها طمعا بما ورثت من موت زوجها ، ثم كنت الثالث لها كزوج ، ولما ماتت أمي تعرضت للدعس ولم أمت كصاحبها الأول ، كان الطلاق بيننا بسبب الحادث ، واعتنى بي إخواني الذين لم أساعدهم يوما بفلس واحد ؛ وكان ذلك الاعتناء بسبب حادث سيارة تعرضت له اعجز ساقي وأصبحت عالة عليهم وما زلت فهذه قصتي مع الحياة .. سعدي موسى .

جمال شاهين



حياتك عفنة

بائع متجول

مطيع مطاوع سنبلة هو مالك وكالة أو مؤسسة ملابس جاهزة في شارع السلطان سليمان احد شوارع حي الزيتونة شمال شارع سيدو عدنان ، انطلقت هذه القصة من تلك المؤسسة التجارية التي تبيع الملابس الجاهزة الرخيصة السعر التي يستلمها من عشرات المصانع والمشاغل المحلية التي تصنعها .

الملابس الجاهزة هي كلمة يقصد بها الملابس المصنعة والجاهزة للبيع كمنتج نهائي في أحجام موحدة ، وتختلف دلالات هذا المصطلح في مجالات الأزياء والملابس الكلاسيكية بحيث أنه في عالم المصممين وصناعة الأزياء إنتاج الملابس الجاهزة يهدف إلى أن ترتديها دون تغيير كبير ، لأن الملابس المصنوعة من الأحجام القياسية تناسب جل الناس ،



كونها تستخدم أنماطاً قياسية عالمية ، وتقنيات صناعية أسرع لإبقاء تكاليف الإنتاج منخفضة ، بخلاف الملابس المفصلة من نفس النوع لمقاس أو على قياس شخص معين حيث تكون باهضة التكلفة من حيث اليد العاملة والوقت .

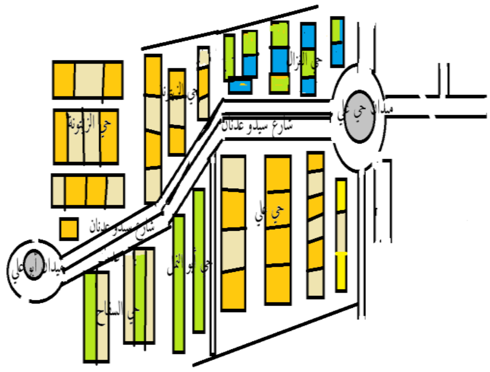
الملابس الجاهزة (Ready-to-wear) هي الملابس التي يتم إنتاجها بكميات كبيرة وبيعها بمقاسات موحدة ، بدلاً من تصميمها وتفصيلها خصيصًا لشخص واحد كما سبق قبل سطور تُعتبر الملابس الجاهزة بديلاً للملابس المصممة خصيصًا أو المفصلة حسب الطلب . وهي تشمل كل أشكال الملابس للصغار والكبار والذكور والإناث والطويل والقصير والنحيف والسمين، فهي مقاسات ثابتة حسب أحجام الناس عالميا ، وتشمل الملابس الداخلية والخارجية ، يتم تصنيع الملابس الجاهزة في المصانع بكميات كبيرة ، مما يسمح بتخفيض التكاليف وزيادة الإنتاجية .

يتم إنتاج الملابس الجاهزة بمقاسات قياسية مثل S, M, L لتناسب أكبر عدد ممكن من العملاء

تُباع الملابس الجاهزة في المتاجر والمحلات التجارية ، حيث يمكن للعملاء شراؤها مباشرةً .

فوكالة مطيع أوجدها مالكها لغاية التجارة في الملابس الجاهزة ، ويحتاجها العدد الكبير من الناس الأغنياء والفقراء ، فالفقراء يصعب عليهم تفصيل ملابسهم لغلاء أسعار القماش والخياطة فيلجئون للملابس الجاهزة التي تصنع كل شيء .

كان مطيع لديه وسيلة لتوزيع وبيع البضاعة سوى المحلات الخاصة به المنتشرة في شارع سيدو عدنان ، وكانت تلك الوسيلة الاعتماد على باعة متجولين ، يستلمون حقائب متوسطة الحجم تملأ بالملابس الجاهزة الخاصة بجميع فئات المجتمع ، وينطلق هؤلاء الباعة إلى القرى والأرياف والبيوت بحقائبهم المحملة بالملابس الداخلية والخارجية ، فكان يعمل معه عشرة أشخاص من بين ذكور وإناث ، فمنهم عيد صياد وسعدي موسى والبائعة عايدة تقوم بالتجول على ربات البيوت في أحياء المدينة ومثلها سعيدة وغيرهم .



يستلم الباعة المتجولون الحقائب صباحا ، وينطلقون في الحافلات المناسبة لاتجاهات جولاتهم المتنوعة ، يطرقون الأبواب ويعرضون بضاعتهم على سكان البيوت ، وفي المساء يعودون للوكالة لتسليم النقود وباقي الملابس ، ويعطون أجورهم حسب البيع ، ولهم آخر الشهر مبلغا ثابتا من المال ، لأن بعض الباعة لا يستمرون طويلا في هذه التجارة فلابد من حوافز ومغريات .

الناس تعودت على وجود هذا الشكل من البيع بينهم سواء للملابس أو غيرها ، ترى باعة أنابيب الغاز يتجولون في شوارع مخصصة لهم أو لكل عربة حتى لا تتداخل مناطق التوزيع والفوضى ، وهناك من يبيع الخضار والفواكه بسياراتهم على الأرصفة وفي الطرق أو يتجولون بالسيارة بين الأحياء والمساكن ؛ لذلك قليل من الناس من يذهب لوكالة غاز ليستبدل الأنبوبة

الفارغة بممتلئة ، وفي الشتاء تنشتر عربات بين الكاز الخاص بالمدافئ أو السولار .

كان عيد قبل طلوع الشمس تجده ينتظر على باب المؤسسة حتى يقبل مدير الوكالة ومساعدوه فيجد الحقيبة جاهزة تنتظره بحمولتها وبقيمة الأشياء فيها ، فينطلق إلى القرية التي سيتجول فيها هذا النهار ، فيعتل الحقيبة بوزنها الخفيف على شاب مثله ، وينطلق بها إلى اقرب محطة حافلات تتجه إلى القرية المقصودة في جولته ذلك النهار ، له كل يوم قرية محددة ، فهو يتنقل بين ست قرى أسبوعيا لا يصل إليها زملاء العمل بتنسيق بينهم ، فليوم السبت قرية وللاحد قرية وهكذا .

كانت خطة عيد أن يصل بحقيبته مركز القرى الستة المخصصة له ، والمركز هو مدينة أو قرية كبيرة تكون سوقا لأهل القرى الصغيرة الريفية ، توجد فيها خدمات اكثر من القرى ، ففي المركز محلات صغيرة قد تشتري منها بعض الأشياء التي يحتاجها عدد كبير من الناس كالأرز والسكر والطحين والزيوت والثياب والقرطاسية والقهوة والشاي ، فمثل هذه البضاعة قد لا تتوفر في القرى الصغيرة فيلجأ القرويون للمركز لابتياعها ، ثم يركب عيد بعد نزوله في مركز قندور حافلة صغيرة تنقله إلى اقرب نقطة للقرية المراد أن يفر على منازلها ، عادة البيوت في القرى تكون متناثرة في الأغلب ، وقد يكون هناك تجمع لعدد من البيوت حول مراكز إدارية للحكومة كالمركز الاجتماعي المركز الصحي جمعيات خيرية مكتب البريد نقطة المخفر بقالة مقهى صغير مكتبة عامة ، يبدأ الشاب عيد بطرق البيوت عارضا بضاعته ، ومع الوقت يصبح معروفا لنساء الحي ورجاله وشبابه حتى أن بعض النساء قد توصيه على أشياء خاصة بالنساء مثل البودرة واحمر الشفاه والحنة والزعوط مثل التبغ يستنشق بالأنف ، يوصين عل دخان المدينة لماركة معينة ، قد يوصين على نوع معين من الثياب الداخلية لا يوجد في حقيبة البيع ويقوم الشاب المتجول بتلك الخدمة ويتحصل على مزيد من الدخل .

***

وقد قيل عن بائع الشنطة هو ذاك الذي كان يضع في حقيبته مستلزمات مختلفة ، فيبيع لهذه المرأة

في القرى كحل عيون والإثمد ، ويبيع لتلك طلاء للأظافر المناكير ، ويبيع لثالثة صابونا ، وتوصيه الرابعة على سلعة محددة كحجر لفرك الأقدام فيجلبها مقابل ثمن معلوم ، وهكذا لا يكون لتاجر الشنطة أي علاقة بأي باب يطرقه في القرى البعيدة ، سوى علاقة المنفعة ، والمنافع المتبادلة ، لا يهمه المرأة التي أمامه إن كانت شقراء أم صفراء ، ما يهمه فقط هو بيع بضاعته ، وهي في الأغلب رخيصة ، غير أن تاجر الشنطة يغلب أصحاب المتاجر المحترمة ، لأنه يطرق أبواب الناس بدون خجل ، ولأنه لا يمانع في صرف كلمات المديح والتبجيل لمن تسوى ولمن لا تسوى من النسوة ، من اجل بيع بضاعته وسلعته ، فالمهم هو الجيب العامر.

***

أحيانا يلتم حول شنطة البيع عدد من النساء والبنات والصبيان للثرثرة والتنافس في الاختيار وعادة يبيع الكثير من الأشياء المحمولة ؛ لأنه يمر على القرية كل أسبوع مرة ، فهذه المدة تتيح للنساء القرويات معرفة ما اشترت كل واحدة من الوان الثياب ، ويجري التنافس بينهن والانتظار ، وغالب الريفيات لا ينتقلن للمدن بشكل يومي ؛ ربما تمكث الأنثى شهرا ولا تدخل مدينة أو مركز القرى إلا لضرورة كزيارة طبيب أو طبيبة أو خلع سن أو لشراء شيء لا يباع بالشنطة ، فليس في القرى ملاهي وأفلام ومقاهي ومطاعم للأكل الجاهز ؛ فلذلك لما تزور إحداهن المدينة لابد لها من دخول مطعم لتناول شكلا من أشكال الطعام المدني .

ربما عيد صياد اكثر بائع متجول عمل مع مؤسسة مطيع زمنا ومدة تقرب من العامين ، وهو شاب فقير واعزب ومطرود من بيت الأسرة ، فيسكن في غرفة واحدة في حارة شعبية أي بناؤها عشوائي وغير منظم إداريا وحسب مواصفات نظام البلد في الإنشاء ، وتعرف على الوكالة من ابن حارة عمل فيها قبله ، ثم انتقل الشاب لحرفة أخرى ، هناك ناس يملون من كثرة المشي والحركة وقلة الأجرة مع كثرة المشي والحركة .

نذهب لزميله سعدي موسى رفيق الوكالة وبائع حقيبة مثله ؛ بل هو الذي دله على الشركة ، الشاب سعدي ابن أرملة وهو بكرها في حي قريب جدا من حي عيد قبل طرده قل رفيق

حارات متقاربة من بعض قل رفيق طفولة وأول سن الشباب ، مات والده موسى وترك خمسة أخوة أكبرهم سعدي ، وهو في الأصل الذي يجب أن ينفق على العيلة اكثر من غيره ، فهو يعمل ويدخر ليتزوج في يوم من الأيام ، لكنه انحرف عن الخط المستقيم بمصاحبة رفاق السوء كانت أم سعدي تعاني من الفقر وقلة المال وتعمل أعمالا بيتية كتخييط الملابس لنساء الحارة الأحسن حالا مقابل ثمن زهيد يسمى التطريز بالحرير ، فعيد هو الذي شغل الشاب في الوكالة فهي تدر دخلا لا بأس به . . كانا قد التقيا في مقهى يزلفان اليه من أيام المراهقة في وسط العاصمة فسأله سعدي عن عمل ، فله فترة دون عمل ، فساقه عيد لوكالة مطيع ، وألقى عليه محاضرة في تجربته بالبيع المتجول ، فقبل سعدي العمل بروح متحمسة .

وعلمه عيد كيفية البيع في الريف كما يفعل هو ، وكان كعيد يستفيد من وصايا النساء والبنات على إحضار لهن أشياء الزينة والكحل والوان معينة من حمالات الصدر وغطاء الشعر فالنساء في الريف يغطين شعرهن بمناديل خاصة ذات الوان متعددة .

أما زميلتهم عايدة فكانت تحمل الحقيبة لتمر على نساء أحياء شعبية في المدينة ، تطرق بيت هذه وبيت تلك ، وبعد استعراض ما في الشنطة تلتقط صاحبة البيت شلحة لطفلها أو سروال داخلي لابنتها أو بيجامة لها أو زوج جوارب لزوجها أو ابنها ، فمن العيب ألا تشتري من المعلمة عايدة أو على استحياء أو من باب المساعدة والشفقة لاعتقادها أن من يفعل ذلك هو فقير محتاج للمال وغالب الأيام تعود عايدة بحقيبة فارغة ، فهي بارعة في الترويج لبضاعتها ، فتحصل على الثناء من مطيع ، وبعد الحساب قد يهدى لها ثوب أو سروال نسائي طويل إما أن تستخدمه لنفسها أو تبيعه في يوم آخر ، عايدة مضطرة لهذا العمل لفقر زوجها وتنصله من الإنفاق عليها بزعم انه تزوجها مكرها ، وهي لم تنجب منه لذلك الزمن ولا يعرفان سبب الإعاقة وغير مهمة لهما .

وأما سعيدة فهي جارة لعايدة وهي متزوجة من شاب اسمه غنيم كان يعمل عامل تزفيت الشوارع مع شركة خاصة تأخذ العطاءات من البلديات لإعادة تزفيت شوارع معينة تعرضت للتشوهات من السيارات من العوامل الجوية ، ولم يكن الشاب يتحصل على الدخل الكبير

ويكثر تغيبه عن العمل حتى طرد فيما بعد واصبح عالة على سعيدة ، فتترك سعيدة طفليها عند والدتها وتنطلق وتسعى للبيع في احد شوارع الحي والأحياء الشعبية حيث يكثر السكان ذوي الدخل المحدود فبشرائهم من عايدة أو سعيدة يوفرون أجور المواصلات وزيارة الأسواق الكبيرة ومحلات بيع الملايس ، فها هي الملابس المناسبة والرخيصة تصل إلى بيوتهن بدون عناء التسوق .

يعتبر مركز قندور هو مركز لتسوق لحوالي عشر قرى ، يتفاوت بعدها عنه ، وكانت قرية مينة تبعد عنه بين ١٥ إلى ٢٠ كيلو متر ، ويقسم القرية شارع رئيسي تمر منه حافلات النقل بين قندور والقرية مينة ، هذه القرية أصبحت فيها حكاية البياع عيد صياد كان يوم الثلاثاء هو اليوم المخصص في برنامجه ليتجول في مينة بحقيبة مبيعاته ذلك النهار ، عند الظهر نزل من الحافلة وفي العادة يبدا تجواله في القسم الغربي غرب الشارع الرئيسي ويختم العمل في القسم الشرقي الأقرب للشارع الرئيسي ، في العادة يتوقف نقل الركاب في القرى والريف والبادية مع غروب الشمس بسبب قلة الركاب في المساء ، فبعد العصر بقليل يقفل عيد عائدا لقندور فيمر على احد محلات الملابس فيها ؛ إما أن يشتري منه ما تبقى كله أو بعضها ، ثم يعود للعاصمة ومنها لشارع سيدو عدنان لتسليم ما تبقى والغلة ، فيوم الثلاثاء غير حياة عيد .

لما وصل عيد إلى مزرعة بعلان في احد اطراف البلدة وخرجت بنات بعلان الأربعة للنظر في محتويات الحقيبة وما لديه من البضاعة لهذا الأسبوع وقدم لهن ما وصين عليه من مشتريات خاصة كالعطر والصابون والكريمات جاء والدهنّ وقال : هلا ومرحب بعيد ابن المدينة ما يحمل لكنّ هذا الأسبوع ؟

أخذ الرجل الكهل ينظر في محتويات حقيبة عيد ، ولما انتهت البنات بأخذ ما رأينه مناسبا لهن هذا الأسبوع ، وقدم بعلان الثمن لعيد وبعد عدها اغلق الحقيبة فقال بعلان : عيد تعمل معي في المزرعة احسن من الفر في البرد والحر

ـ لا اعرف شيئا في الزراعة يا عم يا أبا خلف

ـ ما نريد أن تعمل في الزراعة .. الحارس عبسان توفاه الله سبحانه ..فأنا ابحث عن حارس جديد زرت قندور مرتين لهذه الغاية فلم أوفق بعد ..ما رأيك ؟ ثم نظر لبناته قائلا : اعملن كوب شاي للمعلم عيد . وتناول كرسي في الفناء وقال لعيد : اجلس يا معلم

وقدمت احدى البنات كرسيا لوالدها ، وقدم الرجل لعيد سيجارة هيشي ، نوع من الدخان الشعبي يلف باليد على ورق خاص رقيق ، تناولها عيد وتناول قداحة الشيخ وأشعلها ـ وهو يحمل علبة سجائره ـ لكن من المجاملة قبول هدية الآخرين .

ـ وماذا يعمل الحارس يا سيدي الشيخ ؟

ـ الحارس له غرفة مستقلة يسكن فيها انظر إليها هناك على قمة التلة ـ وأشار إليها بيد ممدودة

ـ وهناك ثلاث كلاب حراسة نقوم بالليل بإطلاقها ؛ فاذا سمعت نباحها توجه نحوها قد تجد متسللا بشريا أو حيوانيا فعلى الحارس طرده أو إيقاظي عند الضرورة اذا لم يستجب المتسلل للصياح فقط .. تقوم بنهره بس

ـ متى ينام الحارس ؟

ـ في الصباح عندما نبدأ بالعمل .. هناك نعاج في تلك الحظيرة نبدأ بحلبها من قبل متعهد يقبل يوميا لذلك الحلب ، وعلفها من قبل راعيها يأتي في الصباح الباكر فيساعد في حلب من فيها حليب ويخرج الراعي في القطيع للرعي حول المنطقة واحيانا يقدم لها العلف من المخزن .. والحملان يا عيد بعدما تكبر بكم شهر الذي نستغني عنه يباع للجزارين أو مربي المواشي

ـ الحارس لا دخل له بذلك

ـ لا ، حتى عند موسم قطف الثمار نأتي بعمال لذلك .. الحارس حراسة في الليل فقط وفي الأسبوع له يوم إجازة ليلة ونهار .. هو يختار اليوم المناسب لإجازته من أيام الأسبوع

ـ والله عمي أبا خلف ممتاز .. والكلاب هو من يطعمها

ـ صحيح ، لأنها يا ابني تعيش في حجرة فريبة من حجرته .. في الصباح يعيدها للحجرة وفي المساء عند الغروب يتركها بدون قيود

ـ مسموح في النهار أن يخرج من المزرعة

ـ اذا لا يرغب في النوم ويريح عينيه ينزل قندور أو يقوم بأي زيارة مسموح له ذلك .. المهم أن لا ينام في الليل أثناء الحراسة ؛ لأن وظيفته حارس ليلي إلا ليلة الإجازة لو لم ينم في الغرفة لا حرج

ـ الأكل والشرب

ـ على حساب المزرعة .. الغرفة فيها براد وغسالة وتلفزيون وطباخ غاز لغلي الشاي والقهوة ولها حمام .. ووجبات الطعام مما نأكل نحن .. فالبنات أو الراعي إن لم يكن خارج المزرعة يقوم بتوصيله لك .. فكر

ـ والأجرة

ـ لن نختلف

ـ متى أباشر العمل ؟

ـ من الليلة

ـ من بكرة يا معلم .. اليوم بسلم الحقيبة للشركة واخبرهم بتركي العمل معهم

ـ جيد من بكرة .. خلاص يا بنات انتهيتن من المعلم عيد .. اشرب شايك لعله برد .. أنا عندي يا عيد ثلاث شبان يعيشون في المدن الكبيرة .. وخمسة بنات هؤلاء الأربعة والخامسة تزوجت من سنة زمان

اغلق عيد الشنطة بالسحاب وقال متحمسا : سأجرب يا عم شهر زمان

ـ جيد .. وبعد شهر أنا أيضا أقرر الاستدامة أم لا .. نقوّم العمل ..أو مع السلامة .. لأن الشبان الذين في مثل سنك يا عيد يملون بسرعة من السهر في الليل .. ثم ينسون الواجب وينامون .. فلصوص الغنم يكثرون في الريف لا يمر أسبوع بدون أن نسمع قصة

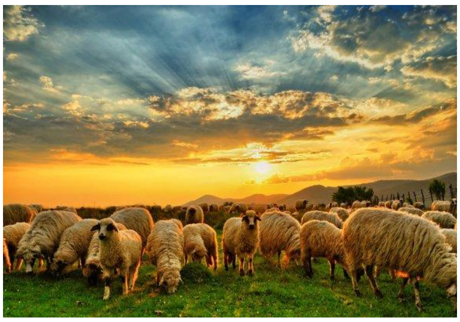
***

انهى عيد جولته كالمعتاد وعاد لمطيع مع الغروب ، وتم تسليم الغلة وما تبقى من الملابس واعلنه

بأنه سينتقل لعمل آخر ، ولم يفصح عنه ولكنه قال : سأعمل فيه تحت التجربة فاذا ارتحت استمريت معهم واذا لم افلح ولم انجح سأعود للحقيبة

وأبى أن يفصح عن نوعية العمل الجديد وقال: فيما بعد سأقول لكم ، أتم محاسب الشركة محاسبته وأعطي راتب الشهر حسب الأيام التي عملها ، وشكرهم وفي اليوم التالي كان يجلس مع الشيخ بعلان أبي خلف وقاما معا بجولة إلى كوخ الحارس وما فيه من أشياء وعليه المحافظة عليها وحظيرة الغنم وكيفية مراقبتها والانتباه إليها وحدثه عن كيفية التعامل مع اللصوص بإطلاق النار في الفضاء وسلمه بندقية صيد ومسدس للترهيب ؛ وليس للقتل ولما يبزغ النهار ينتظر الفطور أو يطرق البيت ويتناوله من احدى الفتيات ، ويعود به لغرفته ويأكله ويصنع الشاي أو القهوة التي ستوفر له من الشيخ كل ما يذهب لمركز قندور ، وله ثوبان في السنة على حساب المزرعة للبسهما أثناء الحراسة ، ولما عاد الراعي حميد ليلا لوضع القطيع في حظيرته ، تعرف عليه وذكر له بعض الملاحظات حول حراسة الغنم واللصوص

***



هرب حمامة

انسجم عيد بعمله في المزرعة كحارس ، وهو معتاد على السهر في المقاهي والأفلام كسائر الشباب البعيد عن الحياة الدينية ؛ فهم تجدهم يعانون من وقت الفراغ ومستمتعون بالتقليد الأعمى للأفلام والغزو الثقافي الاستعماري ولنجوم السينما والتمثيل والرياضة والانفلات ، وذات يوم قالت احدى بنات الشيخ : نحتاج للملابس يا عم عيد .

قال مستجيبا للنداء : اكتبن لي حاجتكن ولما انزل قندور أو المدينة الكبرى يوم الإجازة سأجلبها لكنّ .. وقد أرى احد زملاء الشركة التي اشتغلت فيها واشجعه للمجيء لهذه القرى

ـ هو الأفضل حتى لا نتعبك معنا يا عم عيد .. أنت اعزب يا عيد !

ـ نعم اعزب والا كيف اعمل هنا ؟!

ـ الحارس السابق كان متزوجا وامرأته وأسرته يعيشون في قندور

ـ لم يحصل نصيبي بعد

***

بعد انقضاء ثلاثة اشهر استقر وضعه بالعمل في مزرعة بعلان ، واصبح مألوفا لأبناء الشيخ عند زياراتهم للمزرعة وبناته الأربعة وحتى الخامسة عرفته هي وزوجها حينما يأتون المزرعة كضيوف وغيره ، وكان يهتم بشراء حاجاتهن الخاصة من مدينة قندور ، وكان يوم الأربعاء يوم عطلته في المدينة ، وكان استلطاف جريئا جرى بينه وبين صغرى بنات الشيخ البنت التي اسمها حمامة ، وكانت تحتال للثرثرة معه اكثر من البنات الأخريات ، وكان قلقا من تطور العلاقة بينهما ؛ ولكنها كانت جميلة واكثر حركة من أخواتها معه ، وادرك أنها مهتمة به اكثر من اللازم فهي التي تنقل اليه طعام الغروب ، وتنادي عليه ليستلمه منها ، وتطمئن على صحته وكيف الحياة في المزرعة ؟ وتذكر رغبتها وحلمها العيش في المدينة الكبيرة مثل إخوتها الذكور ، فهي لا تحب القرية وتكرهها ، وملت العيش فيها ، فيسمع ولا يعلق كثيرا ، فهو يخشى عواقب العبث معها فالمجتمع القروي متشدد في العلاقات النسائية لا يتهاون بقتل فاعل الزنا ، ولكن

البنت ملت من العزوبية بدا له ، وأخذت الرغبة الكامنة في جسده تتحرك نحوها كلما يتأمل في عينيها فيرى عندها ما عنده ، وهو لا يفكر بالزواج ولا يستطيعه من فتاة قروية ، فعمله هو لحين ، فهو ملول في الأعمال والمهن ، كانت تفتعل حركات مغرية في كل لقاء ، كانت ترسل رسائل شهوة جامحة فيقول بعد انصرافها لنفسه : يا تراها مستعدة لعلاقة جنسية بهذه الحركات البلهاء ، وكان يدور في المزرعة حديث حول زواج الأرمل بعلان ؛ لأنه ارمل من سنوات ، وكانت وجبة العشاء تنقلها حمامة لغرفة عيد وتطرق الباب وتدخل صينية الطعام ويتناوله منها وعيونها تناجيه بالرغبة ، وتقفل راجعة للبيت الكبير في المزرعة ، وفي الصباح يعيد أواني الطعام للبيت عند جلب الفطور أو يأخذهن الراعي حميد ، أخذت حمامة تزيد من طول المدة بالحديث معه وتسأل عن أحواله وعن أهله حتى سرى الحب في ضلوعهما ، وجرت أول قبلة بين شفاههما وأظهرت تعلقها به ، وتطور الحب والهمس إلى تسلل ليلي للسهر معه بحيل تخترعها لأهل البيت من القلق وعدم معرفة النوم والتجول في المزرعة والقرب من غرفة الحارس حتى سلمته جسدها دون حياء أو خجل ، حتى في النهار تتسلل للحجرة ، حتى حدث بينهما علاقات محرمة ، كزوج وزوجة ، ولم تقف على مرة واحدة ؛ بل تكررت حتى أخبرته بحدوث حمل لانقطاع الحيض فارتعب وانتبه لخطورة ما تورطا به ، وكان الحل أن يهربا من المزرعة والاختفاء فمصيره أن يقتل ويدفن في المزرعة هو وهي ؛ ولكن إلى أين المفر ؟ سوف يطارد حتى الموت ، فهؤلاء ليسن كبنات المدينة بأن تلفق لها زوجا يا عيد .. وهذا الطفل الملعون في أحشائها كيف سنتخلص منه ؟ .. الإجهاض لقروية مستحيل ..وبعد تفكير رسم خطة للهرب وعرضها عليها فقبلتها برضا وسرور .. كأنها كانت تنتظرها .

***

زار عيد سعديا زميل شركة الملابس الجاهزة الذي تفاجأ بظهوره بعد اختفائه لأربعة اشهر أو اكثر من العمل ومن المقهى في وسط المدينة ، واخبره عيد بالورطة التي وقع فيها في شغله في المزرعة وطلب مساعدته في إنقاذ البنت وإنقاذه ، وهو وبعد الاطلاع على خطة عيد وافق بدون

تدقيق كبير وفيما هو مقدم عليه مع عيد ، فعيد صديق طفولة وأول الشباب وهو معلمه في الفسق والفجور والمجون ، ويعتبر نفسه تلميذه في الهمالة والعيش مع بنات الهوى وقال له عيد : سأمر عليك الأسبوع القادم لأرتب معك عملية وخطة هروبها من القرية .

بعدئذ زار بيت عايدة رفيقة المهنة السابقة ومعرفة قديمة لعيد ، وبعد سلام سألها عن زوجها برهومة فأدخلته البيت وقالت : برهومة عيد زميل الحقيبة

خرج برهومة مستقبلا لعيد بالأحضان ـ فهو الذي عرفه على عايدة وزوجه إياها بدون مال يذكر سترة كما يقال وبس ـ قائلا : ما أخبارك؟ قالت عايدة انك تركت العمل مع مطيع ما الأمر ؟

قال عيد : غيرت المهنة بعمل حارس مزرعة

قال برهومة : اعملي شايا لحارس المزرعة .. تفضل إلى غرفة الجلوس

جلسا في غرفة معيشة صغيرة وقال : أهلا بالمعلم عيد ! أي خدمة كنا نراك في قهوة أبي عبدة فأنت لا تظهر إلا اذا احتجت لخدمه من صديقك برهومة

ـ لي زمن لم اجلس في مقهى يا عم برهومة يا اهم نشال في المنطقة ..لأنني أنام في المزرعة وانا بحاجة لخدمة منك كالعادة في زيارتي لك

ـ أنا جاهز

ـ أريد منك هوية لامرأة شابة دون الثلاثين وهوية لشاب مثلي في سني

ـ باسمك واسمها أم بأسماء أخرى

ـ بأسماء أخرى هويات مفقودة لا نريد تزوير هذه المرة ..

ـ واذا لم اجد ما يناسبك سأجتهد هذه الأيام اكثر

ـ لا وقت لديّ .. هناك عملية سريعة ستقوم بها الفتاة وصديقها

دخلت عايدة بالشاي وقالت : ما هي العملية يا معلم عيد ؟

قال برهومة : اصمتي يا بنت الحلال .. خلاص عملية من عمليات المعلم الكبير .. خمسون ليرة

لكل هوية

ـ أليس بكثير يا معلم برهومة ؟

ـ الشغل هذه الأيام صعب .. أو قل كثر النشالون

ـ حسنا متى استلم البضاعة؟

ـ ادفع وخذ

ـ اخرج مائة ليرة

فاختفى برهومة بضع دقائق وسلمه هوية باسم امرأة وأخرى باسم رجل وقال : ماذا ستفعل بها ؟ اشرب الشاي يا معلم

ـ شغل

فقالت : إيه يا معلم عيد ما هو الشغل الذي يحتاج لانتحال شخصيات أخرى؟!

ـ الشغل يا معلمة عايدة يحتاج لسرية أليس كذلك يا اسطى برهومة ؟ وحتى لا يتعرض المعلم برهومة أو أنت لأذى اذا فشلت العملية تتعرضون لسين جيم من قبل الشرطة ..

ـ صح يا معلم .. نحن لا يهمنا شغلك بهذه البطاقات .. أصحاب هذه الهويات زمان استخرجوا بطاقات جديدة بديلة .. يا معلم اشرب الشاي . واخذ يلحن بمقطع أغنية يحفظها وعايدة تحملق بعيدا

***

بعد حصوله على بطاقات محلية مسروقة أو منشولة من قبل زوج عايدة أعطى سعدي بطاقة الشاب وطلب منه أن يستأجر شقة مفروشة في شارع سيدو عدنان باسم هوية الشاب لإخفاء الفتاة فيها لحين ، ودفع له أجرة ثلاثة شهور على الأقل ، وعمولة له واتفق على أن يتصل به عبر مقهى معروفا لهما ، وانه سوف يتصل به خلال أيام ليرى هل وفق باستئجار شقة لحمامة ؟
وطلب من سعدي أن يستلف سيارة بأي حجة من أصحابها لتنفيذ اهم جزء في الجريمة

رجع عيد كالعادة إلى المزرعة ولما أحضرت له حمامة الطعام حسب الروتين اخبرها وهو يتناوله

منها أن الهرب سيكون خلال اقل من أسبوع ، اتصل من قندور يوم الجمعة ظهرا بسعدي فاخبره بنجاح استئجار شقة أرضية مفروشة في عمارة في حي علي أول أحياء شارع سيدو عدنان وانه الآن اخذ سيارة من ابن عمه لعدة أيام بحجة مشوار إلى منطقة بعيدة عن العاصمة ودفع له ما فيه النصيب ، فرتب معه أن يلقاه في قندور نهار السبت ، فانطلق سعدي بحقيبته اتجاه قندور ولما وصلها بسلام تناول الطعام مع عيد ، وحدد له المكان الذي ستأتيه فيه حمامة ، ويسكنها في البيت المستأجر ، وهو سيتابع عمله كالمعتاد كحارس ؛ لأن امر الاختفاء سينكشف بعد ساعات وسيشتبه به أول الناس ، وعليه بين فترة وأخرى أن يزور الفتاة ويطمئن عليها ويوفر لها الأطعمة والعناية ويتظاهر أمام سكان العمارة انه شقيقها أو حتى زوجها ، حتى يتمكن عيد من الهرب ويعيش معها حتى تلد وتضع ولدها ، ودفع له المزيد من المال .

حدد عيد يوم الهرب ويكون بعد الظهر ، والخطة المرسومة تتسلل حمامة إلى الشارع الرئيسي وتركب الحافلة لقندور بحجة أنها ستشتري شيئا منها ، وفعلت ما رسم لها نزلت قبل العصر بحجة أنها تتجول بين الأشجار وانتظرت الحافلة التي تنقل الركاب لقندور وزعمت للسائق أنها ستشتري حاجات وتعود بسيارة خاصة؛ فهناك سيارات خاصة بشبان أو كهول ينقلون الناس لمساكنهم مقابل أجرة كسيارات الأجرة والتاكسي الصفراء ، في العادة هذه السيارات الخاصة يعمل عليها أصحابها أثناء الليل أو المساء بأجرة مرتفعة ؛ لأنها سيارات غير مسموح لها بنقل الناس كسيارات الأجرة ، وعادة القرى في الأرياف ليس بينها وبين المراكز سيارات أجرة ؛ إنما هي بضع حافلات تعمل حتى دخول الليل ، ومن يتأخر في العودة يستأجر سيارة وحده أو مع شركاء مثله لنقلهم للقرية ، وصلت قندور والخوف والرعب يتجسمان فيها ؛ لكن فضيحة الحمل قد تضطرها للقتل .. لما اقتربت من المقهى لمحها سعدي وعرفها من الوصف والثوب وهي عرفته فركبت معه وانطلق بها للعاصمة ومن رآها تركب ظن أنها استأجرت تلك السيارة .. وبعد ساعات كانت تتسلل للشقة وتستلم المفتاح ، ووعدها بالاتصال ؛ لأن الشقق المفروشة توجد بها تلفونات في الغالب ، لأن العقد كان لمدة ثلاثة شهور

اذا لم يحدث خطر عليها ، وبعد الشهور ستنتقل لشقة أخرى حسب خطة عيد ، ولما تقترب الولادة سيسافر بها إلى بلد مجاور أو داية قابلة تولد النساء في البيوت ، والفتاة ما زالت في أول شهور الحمل .

انزعجت البنات في المزرعة على اختفاء حمامة ، وقد أخبرتهن أنها ستعمل جولة في بساتين الرمان انشغل القوم والحارس بالبحث عنها خشية أن تكون اغمي عليها أو وقعت في حفرة أو قرصتها حية أو عقرب ، ولم يسفر البحث في المزرعة وحواليها عن شيء ، وقضى الشيخ بعلان أسوأ ليلة في حياته وفي الصباح ذهب لنقطة شرطة قريبة من مينة ، وبلغ عن اختفاء البنت ، ثم تبين أن احدهم رآها تركب الحافلة لقندور مما أثار الدهشة ، هي في العادة لما تذهب لقندور تكون رفيقة لأحدى أخواتها أو بسيارة أبيها لا يمكن أن تذهب وحدها ، ولم يسفر التحري عن شيء وبعد أيام وصلوا لنتيجة أنها هربت من القرية مع احدهم ؛ ولكن السؤال مع من هربت ؟ ! ولماذا هربت ؟!

تعرض الراعي وعيد وعمال حلب الشياه لقيل وقال ، وتبين انهم لا يميزون بين بنات الشيح من الصغيرة ومن الكبيرة ، واكثر واحد يعرفهن عيد ، وعيد ليلة الاختفاء كان في المزرعة وشاركهم البحث عنها ليلا في المزرعة وحولها .

انتهى أسبوع وعمم عليها في كل البلاد ولم يلتق احد باسم حمامة بعلان ، وانكر عيد معرفته بشيء حتى أن الشرطة حبسته على ذمة التحقيق ، وقابلوا والده صياد الذي اخبرهم انه من سنوات لم يره ، وهو مطرود من البيت ، ووصل التحقيق لمطيع فقص عليهم قصة عيد وعمله ثم تركه العمل من اقل من سنة وصدق بعلان إفادة مطيع وقصة عمله معه

وكان الأب يصيح في البنات في جنون : لماذا الملعونة هربت ؟ لماذا فضحتني على كبر ؟ من الذي هرب معها ؟ لا يوجد احد من القرى قد اختفى لنقول انه هو هربها ؟

كل واحدة قالت : لا نعرف شيئا ولم تخبرنا بقصة سعيها للهرب .. عيد لم يقل شيئا ؟

ـ هو محبوس ولا يعرف شيئا ، علاقته معها علاقة تناول الطعام مغربا وإعطائها الفارغ

قرية مينة ثارت على ضعف الشرطة بالعثور على ابنتهم ؛ لأنه لم يثبت خطفها ، لأنها شوهدت تركب الباص أمام عدد من الركاب . . ثم لم يرها احد تغادر محطة قندور ، ومع كل يوم يضعف الالتقاء بها ، وقبع عيد في حبس الشرطة صامتا ، حتى تدخل بعلان وطلب الإفراج عنه لأنه تبين للشرطة الجنائية أنه الأكثر خطرا عليها لسوابقه الأمنية في السرقة والأخلاق القبيحة ولرفض الكثير من الشركات تشغيله لسوء سلوكه مع الشرطة ، فأفرجوا عنه لمراقبته لعل أن يكون له دور في الجريمة الغريبة ، وفعلا تركته الشرطة وأخذ حقوقه المادية وملابسه وغادر المزرعة مطرودا ، وفي الصباح عاد للوكالة طالبا العمل وتحدث معهم عن القصة والظلم الذي لحق به وأصابه من العمل كحارس ، وعاد لبيع الملابس الجاهزة في قرى قندور ولم يقرب قرية مينة البتة وهو يعلم بأنه تحت عيون المباحث الجنائية

***

بعد انتهاء الشهور الثلاثة قام سعدي باستئجار شقة أخرى في حي آخر من أحياء شارع سيدو عدنان ، فهو بحكم عمله فيه يعرفون أحياءه ومقاهيه ومطاعمه ومحلات مطبع فيه ، وكان عيد يشعر بمراقبة الأمن والشرطة السرية ، وكان سعدي وعيد يتواصلان بالهاتف هاتف المقهى والشاب سعدي قد تورط في القضية فلم يستطع إلا الاستمرار وعدم الانفكاك مما تورط فيه من الخطف ؛ لأن الشرطة ستتوقف من متابعة عيد مع الوقت ، وقبل الولادة بشهر رتب لها سعدي سفرية إلى سوريا بسيارات النقل بين البلدين ، وعلى هويتها المزورة دخلت الشام ؛ حيث كان في انتظارها عيد على هويته المزورة التي خرج بها هو الآخر قرب محطة القطار حي القدم ، وكان قد استأجر بيتا في مخيم اليرموك القريب أو الموجود في دمشق .

***

مخيم اليرموك مخيم للاجئين الفلسطينيين في مدينة دمشق السورية أُنشيء عام ١٩٥٧ بعد النكبة الفلسطينية بأعوام ، النكبة الفلسطينية حدثت عام ١٩٤٨ بخروج ما يقارب المليون إلا ربع من مدنهم وقراهم ؛ ليحل محلهم يهود العالم المتآمر ، ويقع على بعد حوالي ٨ كيلومترات من

دمشق، كان المخيم يأوي حوالي ١٦٠ ألف لاجئ فلسطيني تبلغ مساحته حوالي ٢,١ كيلومتر مربع ، يوجد في المخيم أربعة مستشفيات وعدد من المدارس الثانوية التي تديرها الحكومة. وتدير الأونروا وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة عشرين مدرسة ابتدائية وثماني مدارس إعدادية في المخيم ، كما ترعى مركزين لبرامج المرأة ، كان هناك ثلاثة مراكز للرعاية الصحية تابعة للأونروا في اليرموك

ترجع أصول معظم سكان مخيم اليرموك من اللاجئين الفلسطينيين إلى مدن وقرى حيفا وعكا ويافا واللد وبيسان والناصرة وطبرية ونابلس وغزة ومنطقة الأغوار ، بني مخيم اليرموك في موقعه الحالي في مكان كان يعرف بمنطقة " شاغور بساتين" ، منطلقا من الحارة الأولى فيه التي تسمى الآن " حارة الفدائية" باعتبارها الحارة التي انطلقت منها الدفعات الأولى من قوات الفدائيين الفلسطينيين لقتال دولة بني صهيون ، والحارة الأولى التي سقط منها أكثر من خمسة عشر شهيدا من أبناء الجليل شمال فلسطين ، يحيط بمخيم اليرموك مناطق شعبية سورية مكتظة بالسكان وهي عشوائيات نشأت حسب الحاجة ، فمن جهة الشرق حي التضامن ، ومن جهة الغرب أحياء القدم والعسالي، ومن الجنوب الحجر الأسود ، يقسم المخيم إدارياً إلى ثلاثة أحياء هي حي الفالوجة ، حي الكرمل وحي حطين يفصل بينها ثلاثة شوارع رئيسية هي شارع اليرموك وشارع فلسطين وشارع صلاح الدين الأيوبي ويوجد العديد من الشوارع الفرعية التي لا تقل أهمية عن الشوارع الرئيسية مثل شارع لوبية وشارع صفد حيث يمتلئان بالمحلات التجارية ويزدحمان بسيارات الأجرة والحافلات الكبيرة التابعة للشركات الخاصة التي تصل المخيم بالعاصمة دمشق ، ويعمل العديد من اللاجئين في المخيم كأطباء ومهندسين وموظفين مدنيين، ويعمل آخرون كعمالة مؤقتة وباعة متجولين، وبشكل عام في الوضع الطبيعي تبدو ظروف المعيشة في المخيم أفضل بكثير من مخيمات لاجئي فلسطين الأخرى في سوريا ؛ كما يوجد بالمخيم عدة مسارح مثل مسرح الشهيدة حلوة زيدان ومسرح الخالصة ومسرح المركز الثقافي العربي في مخيم اليرموك.. وقد دفن الكثير من قادة الثورة الفلسطينية من جميع الفصائل

في مقبرة الشهداء بمخيم اليرموك ومنهم سعد صايل المكنى بأبي الوليد اغتيل في لبنان ودفن في مقبرة الشهداء بمخيم اليرموك في دمشق ، وهناك القائد الثاني أبو جهاد خليل الوزير في منظمة فتح اغتيل في تونس شمال أفريقيا ، نُقل جثمان الوزير إلى مدينة دمشق بسوريا، ودُفن في ٢١ أبريل ١٩٨٨ في مقبرة الشهداء بمخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين بعد أن شيّعه عشرات الآلاف من الفلسطينيين والسوريين.

***

المخيم المذكور لم يكن كل سكانه من فلسطين ، يعيش فيه وحواليه مهاجرون من شتى أنحاء سوريا ولبنان وعائلات تبحث عن عمل تستقر فيه أو حواليه لرخص الإيجارات وعدم دفع الضرائب وغيرها للدولة أو الوكالة ، فهو في قلب دمشق ؛ فلذلك لما سكن عيد وحمامة لم يهتم بأمرهما احد ، فالعيش فيه قد يطول وقد يقصر لأيام أو أسابيع أو شهور حتى انك تجد فيه عراقيين ومصريين وسودانيين يبحثون على الأمن ولقمة العيش ، لذلك تمت ولادة حمامة باسمها المزيف بكل سهولة ، وزعم عيد لما نقلها لمستشفى التوليد انه قريبها وأن زوجها مقاتل في جنوب لبنان ، وبعد الولادة بفترة قصيرة مات الطفل لضعف العناية الطبية به وبأمه ، تمكن من عقد زواج على انهم غرباء ؛ وليسوا سوريين ، وعاد عيد للعمل كبائع متجول لأن هذه الحرفة أيضا تنتشر في المخيم وفي سوريا عموما وليتعرف على البلد والأحياء ؛ فهي شغلة لا تحتاج لترخيص ولا لدفع ضرائب للدولة ، تعتبر مهنة ستر عيش ، واتفق معها ألا يفكرا بالعودة للعيش في بلدهم قبل عشر سنوات على الأقل ، وكانت هي قد قبلت بهذه الحياة القاسية منذ فارقت مينة وسلمت جسدها لحارس المزرعة ، وهو أمام رغبتها الجامحة استسلم واستمتع بها حتى أخبرته بحدوث الحمل ، فرتب تلك الخطة الشيطانية التي ربما تعلمها من فيلم .

كانت وجهة نظر حمامة أنها يآسة من الزواج ، وقد بلغت العشرين وأخواتها الأكبر ما زلن عوانس فمتى ستتزوج ؟! فاستطاعت أقناع الشاب بقبولها زوجة بتلك الخطة الجنونية ، وكان عيد يضطر للغياب عنها أياما وربما الأسبوع لتنقله بحقيبته بين ولايات سوريا الواسعة

حياة سعدي

كان سعدي بعد فوات الأوان يدرك الخطورة والمغامرة التي عاشها مع عيد ، ولم يدرك انه تورط في جريمة كبرى إلا بعد حين ، فكتم الأمر ، وفرح جدا بخروجها مع عيد من البلد ، فعاد اليه بعض الهدوء بعد اشهر من الرعب والخوف على حياته وقضاء عمره في السجن أو الإعدام ، حتى لما ترك عيد المؤسسة في المرة الثانية هو الآخر بحث عن عمل آخر حتى لا يزل لسانه بكلمة تكشف المستور ، وسيشنق هو قبل عيد ؛ لأنه هو الذي يعتبر الخاطف والمجرم .

كانت عايدة أيضا مشغولة الفكر بالهويات التي اشتراها عيد من زوجها النشال بمائة ليرة مع انه كان باستطاعته ابتياعها بأقل من ذلك ، استنتجت أن العملية كبيرة ومفيدة لجيبه لتضحيته بهذا المبلغ الكبير ، فكانت كلما تذكرت زيارة عيد تلك الليلة لبرهومة تسأله نفس السؤال :

ألم يقل لك عيد ماذا سيفعل بها ؟

ـ ولماذا يا حمقاء سيقول لي ؟ وهل هو أول زبون يشتري هوية لغيره ؟ هو ينتفع ونحن نستفيد

ثم أضاف لتصمت ولا تبقى تكرر السؤال منذ اشتراها عيد بذلك المبلغ الكبير في نظر عايدة فهو يبيع البطاقة بعشر ليرات ويعتبر نفسه كسبان قائلا : لعله سيبيعها لمهرب مخدرات ، أو لشخص سيخرج من البلاد على تلك الأسماء .. هذه أشياء لا تهمني ، حتى زوج صديقتك سعيدة يسأل عن تلك الهويات يبدو انك أخبرتيها ببيعي له .. آخرتك أن تدخليني السجن يا معلمة .. أسرار الشغل لا يستحب إخبار الناس بها حتى لا يلحق بنا ضرر ببيعها للناس

قالت : لما رجع عيد للعمل معنا من جديد لم يجيب عما فعل فيها ؛ بل قال : الزمي الصمت احسن لك أحسن أن تتعرضي للإعدام أنت وبرهومة ارتكب احدهم بهما جريمة

صرخ فيها : سمعت يا ملعونة .. اصحي عمرك أن تكشفي أسماء الزبائن لاحد .. نحن نضر انفسنا اكثر منهم فيحسبون اعني الحكومة أننا ساعدناهم في فعل الجريمة

قالت : لقد ترك الشغل ثانية وذهب يشتغل في مصنع أحذية

قال مفكرا : هو في مصانع أحذية في البلد .. أول مرة بسمع .. كل الأحذية مستوردة .. هناك

محلات لتصليح الأحذية ..

صرخت هي الأخرى : وأنت بتعرف كل شيء في البلد .. وأنت من الدار لمحطة الباصات أو محطة القطار تترصد الغلابة

ـ أنت لماذا تركت المؤسسة ؟

ـ طردنا المعلم مطيع مطاوع كلنا .. لم يعد يهتم ببيع المتجولين بعد مشكلة عيد والخسائر

ـ لماذا سيغلق المؤسسة ؟

ـ سمعت المحاسب حسن يقول هناك خسائر كبيرة فسيعيد المعلم مطيع الأوضاع من جديد ويستثمر أشياء جديدة

ـ المهم تخلص منكم .. وماذا تعمل سعيدة اليوم ؟

ـ مثلي قاعدة في البيت وإخوتها يصرفون عليها حتى تجد عملا جديدا

ـ ها هم الأخوة يا عايدة ! ليس مثل إخوتك رميّنا بالجوع

هاجت صارخة : أنت لماذا لا تشتغل بدل هالحكي الفاضي ؟

ـ أنا بشتغل

ـ هو النشل شغل .. تنشل محفظة تجد فيها عشر ليرات ثمن علبة سجائر

ـ هذه وظيفة مهمة في المجتمع

هتفت باستغراب : مهمة كيف؟!

ـ كيف ؟ سأقول لك كيف ؛ لعلك تغارين وتصيرين نشالة مثلي .. ناس معهم محافظ منفوخة بالفلوس لا يعرفون أين يصرفونها وإنفاقها فأنا بها أولى؟

ـ أنت تضحك عل حالك بهذه الفلسفة .. الذين تنشلهم غلابة مثلنا فقراء .. الأغنياء لا يركبون حافلات وقطارات وتكسيات من عهد هتلر

ـ يركبون مثلنا ؛ ليس كلهم يملك سيارة

ـ وهذه السيارات التي تملأ الشوارع .. هناك من يرن الجرس

ـ روحي انظري من يقرع الجرس !

نهضت تاركة برهومة وقالت وهي تخرج لفناء البيت : من ؟

قالت سعيدة : أنا سعيدة ومعي أبو عادل .. برهومة في البيت

ـ موجود .. فتحت الباب : تفضلوا

سلموا على بعض وصرخت : غنيم يا معلم برهومة

خرج برهومة مستقبلا ضيوف المساء ومرحبا بهم وجلبت عايدة الكراسي ليجلسوا في الحوش أو الفناء بما أن الجو ربيعي كما يقال

لما جلسوا قامت عايدة ثانية وهي تقول : سأعمل لكم الشاي قبل أن يطيب الجلوس

قالوا وقيل وقال وغيبة ونميمة وبعدها قال غنيم لما رجعت عايدة : يا عم برهومة هناك عمل جديد اذا بتحب امرأتك تعمل مع أم عادل

قالت عايدة وهي تقدم الشاي : عمك برهومة يريد أن اشتغل نشالة مثله

ضحكوا وقال غنيم : والله عمل جيد! بس يحتاج يا عايدة إلى خفة إيد وجرأة حسب معلوماتي يا برهومة .. أنت كم سنة لك في هذه الشغلة؟

ـ عمر يا أبا عادل من عشرين سنة من قبل أن أتقدم لهذه اليتيمة

قالت سعيدة : هي يتيمة يا عم برهومة

ـ كانت يتيمة لما عقدت عليها .. أبوها ميت وأمها لم تمت بعد لعلها على الطريق .. ولما خلصت عدة الوفاة تزوجت عتالا من سوق الخضار

قالت عائدة : السترة ليست عيبا يا برهومة .. امك خمس مرات تزوجت

قال غنيم : خمس مرات .. دعونا من الفضائح وأسرار العائلات .. المهم وجدت شغلا لسعيدة

قال : ما هو ؟

ـ هناك مصنع حلويات ملبس وغيره وعلكة يعملن البنات فيه بتغليف المنتجات تغليف يدوي لأن المصنع قديم وصغير

ـ والله مهنة ممتازة يا أبا عادل ! خذوها من الصبح وانا بدبر حالي ساعة الغداء السردين واللبن موجود

قالت عايدة : الأجرة والراتب كيف؟

قال : أتصور احسن من بيع الملابس ؛ وربما الأجرة على حسب كمية التغليف كلما اشتغلت كميات اكثر تكون الأجرة اكثر

قال النشال : جربي يا عايدة افضل من القعدة.. ومهنة النشل تحتاج لخفة وسرعة وشجاعة قلب كما قال السيد غنيم أبو عادل

***

بعد ست سنوات من هرب حمامة توفي بعلان مقهورا من هربها ومن عدم الوصول إلى مخبأها كل تلك السنوات ، وقد تيقن في قرارة قلبه أنها رتبت هربها مع ذلك الحارس الخائن بطريقة شيطانية ، وكان قد تيسر زواج البنات الثلاثة بعد حادث الهروب من رجال وفتيان القرية والقرى المجاورة ، وخلال عزاء الوالد التقى السيد خلف ابن الميت بضابط جنائي كبير في دائرة الأمن الجنائي في العاصمة ، وجرى حديث عابر حول فشل الشرطة بإيجادها للفتاة الهاربة فدعاه الضابط لزيارته بعد انتهاء العزاء ؛ ليشرح له الجهود التي قامت بها الشرطة حول القضية تلك ، كان بعلان قبل موته كلما ذهب قندور مر على قسم الشرطة والجواب ولا معلومة وصلت ، بعد موت الوالد عرض الأخوة الثلاثة المزرعة والبيت والغنم للبيع ، فهم لا يرغبون بالعيش في القرية فيما تبقى من حياتهم ، قد اعتادوا على حياة المدينة والوظيفة ، ولما كمل البيع قسم الميراث حسب قانون المواريث الشرعي .



ذهب خلف ومعه شقيقه لمقابلة الضابط الجنائي الكبير بعد ترتيب موعد بينهم ، فرحب بهم في دائرة الشرطة الجنائية ، وطلب لهم الشاي ، بعد دردشة عن الأحوال والصحة قال الضابط : لا

تلومونّنا .. فأختكم لها ترتيب ويد في الهروب ، لا يمكن أن تهرب بدون رضاها ، فهناك ترتيب محكم بينها وبين مهربيها ..ولابد انهم أكثر من شخص من بينهم عيد اللعين ، هو رجل له سوابق لدى الشرطة ؛ ولكن لم يكن بينها الخطف ، قضاياه اغلبها جنح سرقة مشاجرات ضرب سكاكين للإيذاء ، وبعد التحقيقات والفرضيات الشرطية هناك اكثر من شخص يمكن أن يساعدها على الهرب .. الحارس الخائن أولهم ؛ لكن لا يمكن أن يكون وحده لابد أن له شركاء ساعدوه في تنفيذ خطته الجهنمية .. هي كفتاة قروية لم تكن تستطيع وضع خطة فرار بهذا الجسارة ، والخائن مثل دوره الشيطاني باحتراف وسخر من الشرطة والمحققين ، لديه خبرة بالتعامل مع رجال الشرطة ، لم يهرب معها مباشرة ، بقي في المزرعة ذلك اليوم وشارك المرحوم البحث ، ولم تصل الشرطة رغم تعقبه لأشهر إلى من ساعده أو ساعدوه في تهريبها من مينة أو البلد كلها .. ومن خبثه انه بعد طرده من المزرعة عاد للعمل مع مؤسسة مطيع للملابس الجاهزة بضعة اشهر ثم اختفى ، ولم يظهر اسمه على الحدود كلها لا هو ولا حمامة .. فالبنت متعاونة معه بكل عقلها وإرادتها وقوتها .. والفرض إما انهما هربوا بهويات مزورة خارج البلاد أو لم يمروا على الحدود الرسمية أي بالتهريب كما يفعل الفارون من العدالة أو مهربو المخدرات .. يدخلون من نقاط ضعيفة الحراسة ؛ لأننا وانا خاصة اهتممت بملفه لصداقتنا وقرابتنا .. فبعد فترة عمل مع المؤسسة اختفى كانت فترة خداع للشرطة .. فهل هو حي أم ميت ؟ الله اعلم المهم انه ليس في البلد .. وأرسلت وراء أبيه صياد ؛ لأنه أثناء التحقيقات الأولى اخبر الشرطة انه مطرود من البيت من سنوات ولا يعرف عنه شيئا ، وبين لي الرجل سبب الطرد بأنه سرق أسورة من أساور أخته قبل زفافها كان مزنوقا ببعض المال كما زعم لأبيه ، وسبب مشكلة بين الأسرتين فطرده والده ، وتبين لنا أيضا أنه شاب فاجر وله علاقات نسائية محرمة مع نسوان واحترف بيع الشنطة والتجول للتغطية على سمعته الفاسدة ، فقد كانت له علاقة آثمة مع امرأة اسمها عايدة ولما افتضح أمره معها زوجها لنشال ، وعملت معه في وكالة الملابس ، وكذلك مع امرأة اسمها سعيدة ولبسها لزوج سيء وقبله أهلها تغطية للعلاقة المحرمة ، وكانت أيضا

تبيع شنطة في المؤسسة ، ولم تظهر لصاحب المصلحة أي علاقة له بهن .. فيبدو انه أختكم تواطأت معه في خطته المجهولة للشرطة ، ولم يثبت أن زوج عايدة أو سعيدة شارك في عملية التهريب لأختكم ، كان الرجل يشتري هويات مزورة من زوج عايدة النشال ؛ لكنه لم يزور له أي هوية ، وحتى الهويات التي يبيعها بين فترة وأخرى لا يعرف النشال الأسماء التي تحملها .. هي هويات تكون مع محفظة صاحبها أثناء النشل فيحتفظ بها ليبيعها للمهربين في التنقل بين المدن بأسماء مسروقة .. والنتيجة انهم لا يعرفون ماذا يفعل بها عيد ؟ وكانت علاقته بهم مجرد عمال شنطة باعة متجولين مثله ، وهو أول من عرفهن على الوكالة التي ثبت أن لا دحل لها في عمليات كهذه .. ومنذ اختفى من البلد لم يظهر في أي حادث .. فنعتقد أن الرجل خارج البلاد وخارج البلاد يصعب علينا تعقبه ونحن لا نعرف الاسم الذي يحمله أو تحمله أختكم .. فالقضية لم تغلق تماما

قال خلف : فترة تعقبه لم يتصل بأحد

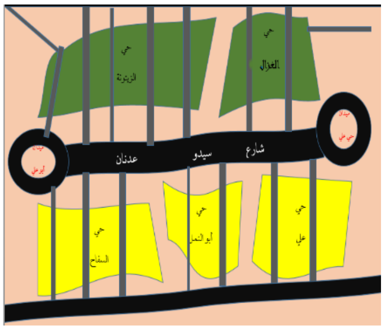
ـ لا .. عاد للشغل ولم يذكر لمطيع مدير المؤسسة أين كان يشتغل ولا حتى عايدة وسعيدة وغيرهم .. ترك العمل بزعم انه وجد شغلا ، ثم عاد بعد أن طرد وعاد يتجول في قرى قندور دون أن يقترب من مينة .. ثم اختفى واخبر المدير انه وجد شغلا جديدا ، ولم يذكر له ما هو واختفى عن أعين المتابعة .. واعلموا أنه مهما كانت المراقبة والمتابعة لشخص شديدة لابد من وجود ثغرات وستبقى القضية معرضة للفتح من جديد عند حدوث أي تطور أيها الأصدقاء

قال الأخ الثاني : حقيقة جهودكم مشكورة .. والذين في الخارج لا يرون هذا الجهد الكبير

***

حلال هذه السنوات تحول سعدي من بائع شنطة متجول في مؤسسة مطيع إلى موظف يعمل في الشركة الفرع الرئيسي التي بدأت تزيد من مشترياتها الأوروبية والصينية بعد مرور فترة ضعف وتم إلغاء بيع الحقائب الجوالة بعد استيعاب الورطة التي أوقعهم فيها عيد ، وتم فتح فروع في شوارع وأحياء أخرى وكان يقوم سعدي وبعض العمالة الأخرى بنقل البضاعة إلى المحلات

الأخرى عند طلبها ، ثم استقر سعدي في العمل في الفرع الرئيسي مع مطيع ، وكان قد استأجر شقة صغيرة في حي علي شارع سيدو عدنان تحت بناية قديمة تسمى تسوية ، هي نفس البناية التي عاشت فيها حمامة ثلاثة شهور ، وبعد بضع سنين تزوج فتاة اسمها دليلة قبلت به قرينا لها .



لم يكن سعدي على علاقة بعايدة أو سعيدة أثناء عملهن في المؤسسة قبل سنوات ، ولم يعرف أسمائهن إلا من العمل مع مطيع ، كن مجرد زميلات شركة ، ولا يعلم مدى علاقتهن بعيد ، لأن العامل يأخذ الحقيبة الجاهزة ويرحل إلى أماكن بيعه ، كانت علاقته مع عيد بحكم الجيرة في حارة واحدة ومنطقة واحدة ، وبحكم النشأة الشبابية قبل طرده من أسرته ، وأيضا عيد هو الذي علمه الحرفة والتقى به في مقهى وسط المدينة العاصمة فتجددت الصداقة القديمة ، ولما شكى قلة العمل والدخل ارشده لمؤسسة مطيع ومهنة لا تحتاج لشهادة سلوك امني ولا لدفع ضرائب التجارة .

زواج سعدي لم يكن عن معرفة مباشرة بدليلة ، فهو لم يكن له معرفة سابقة بها ، كان ليلة يسهر مع شلة من رفاق الحياة في مقهى معتاد على ارتياده بين الفترة والأخرى ، لم يكن مقهاه المفضل فقال له شاب من سنه اسمه عدي عندما رآه يشرب الشاي وحده : هل تزوجت يا سعدي ؟

فنظر إليه مستفهما عن سبب السؤال فهو يعرف انه اعزب : لمَ ؟

ـ لديّ عروس تبحث عن ذكر

ـ وضع السيجارة في مكتة الدخان وقال : لم أفهم يا عبس !

فقال آخر : لا تعمل نفسك غبيا .. هناك امرأة تريد زوجا

قال عدي : عساك استوعبت الأمر .. في ولية (امرأة) محتاجة لزوج يستر عليها

فقال ليبدو رافضا للعرض : أنا أتسلى هنا وهناك ، لا رغبة بالارتباط بزوجة واهل زوجة

فقال : هي لا تمنعك أن تتسلى بهذه أو تلك

فقال دهشا : ما طبيعة هذه المرأة ؟

ـ ولا طبيعة ولا شيء .. كثر الكلام على سمعتها السيئة ترغب بالتوبة وتتظاهر أمام الناس أن لها زوجا .. فلما رأيتك الليلة خطر في بالي أن تتزوجها تسلي نفسك معها وترتاح من بنات الشوارع

ـ معها مال

ـ معها إلى حد ما .. ممكن تدفع لك إيجار البيت .. فهي تعمل على مستوى عال .. لها زبائن من كبار رجال البلد وتكسب من مهنتها أموال كثيرة

ـ ولماذا ستتزوج؟

ـ عملية تطهير وتلميع .. زوج أمام الناس .. ولك جزء من الشغل الذي تقوم به مائة دينار شهريا خالصة لك

ـ ومن عرفك بها يا ملعون ؟

ـ كنت في يوم من الأيام احد الزبائن .

ـ ما هو أنت اطفر مني !

ـ وقعت ظروف فتعرفت عليها .. أنت تحب التسلية مع بنات الهوى وغير قادر على الزواج النظيف كما نعلم أنا والشباب .. كن لها غطاء .. ربما تقضي اكثر وقتك وحيدا في شقتها لا تسمح لك بالنوم معها إلا اذا حمحمت معها ؛ لأنها تقضي أياما دون صيد

قال الثاني : شقة وامرأة ومال جرب

فقبل سعدي أن يجرب ، وهكذا تزوج من دليلة، واستأجر شقة مفروشة باسمه في نفس العمارة وخرج من القبو أو التسوية لأعلى ، واحتفل الشباب الرفاق بزواجه في ملهى ليلي ، هكذا كانت قصة زواجه من بائعة هوى محترفة .

لقد كان يستيقظ في الليل ولا يجدها في الشقة فيتنكد دقائق ، ثم يهدأ ويتذكر أن هذا من شروط سرية العقد والاتفاق ، وكانت تجلب له المال والدخان والخمر فيزداد هدوءا ولا يسأل مع من

قضت ليلتها الماجنة ، وكانت أحيانا تختفي بالأيام والأسابيع ولا يحرك ساكنا وينتظر ويسأل نفسه كيف تورط بتلك اللعبة مع تلك الغانية ؟ ولما يستلم الراتب الشهري تذهب الغيرة والأفكار السوداء

***

ذات يوم بينما كان برهومة النشال يتصيد الزبائن في محطة حافلات نقل الركاب ليعود للبيت بمحفظة أو اثنتين ، فعادة عملياته تنشط عنده فترة الصباح عندما يكثر الطلاب والموظفين في تجمعات الحافلات وعند المساء عند عودة أكثرهم في نفس الفترة ، فوقعت عينه على جيب بنطلون منفوخة وتستحق المغامرة ؛ والنشل كما يقال يكون عند ازدحام الركاب عند أبواب الباصات فلا يشعر المنتشل بفقد محفظته إلا عند دفع الأجرة ، ولكن الرجل المطارد سبقه فركب الحافلة ، ولم يتمكن من نشل المحفظة فصعد هو الآخر على الحافلة ؛ ليلحق بالرجل لعله يتمكن منها في الطريق ، وأثناء الطريق نزل الراكب في منطقة ، ولم يتمكن من انتزاع المحفظة ، فنزل بعد فترة وأراد أن يتحول للجهة الأخرى من الشارع الواسع عرضا ليعود في حافلة قافلة للمحطة ، وبينما هو يقطع الشارع مسرعا تزحلق فصدمته سيارة مسرعة جدا ؛ لأن الشارع شارع واسع فارتفع عن الأرض ثم خر طريحا على الشارع يصرخ ويولول من الألم فتوقف السير ونقل إلى المستشفى ولم يلبث إلا قليلا في غرفة العمليات فمات ، فقد تعرضت جمجمته للكسر وقد تأذى رأسه من شدة الضربة ثم الصدمة في الأرض ، ومات برهومة زوج عايدة ، وورثت عايدة وأهله ديته من شركة التأمين الخاصة بحوادث السير .

فشجعت سعيدة زوجها بأن يتزوج من الأرملة عايدة لما سمعت بالمبلغ الذي أعطي لها تعويضا عن حياة برهومة ، فرحبت عايدة بالفكرة والعرض ؛ وكذلك غنيم جارها ، ولما انتهت عدة الوفاة حسب قانون الأحوال الشخصية المعمول به في كل بلاد الأنظمة الإسلامية تزوجها العم غنيم ورويدا رويدا استولى على الكثير من مالها بحجج كثيرة كالاستثمار والمشاريع والحقيقة هي غير مهتمة بذلك وكانت تأمل أن تلد منه فلسعيدة ولدان منه ، فهذا الهدف الذي شجعها

أن تقبل به زوجا وتغض الطرف عن نهب مالها .

قالت لسعيدة : لي رغبة بالخلفة

قالت سعيدة : هو تعبان من هذه الناحية ، فمنذ البنت لوزة عجزنا عن الحمل

ـ لماذا لم يتعالج؟

ـ رفض قال خلاص بكفي عادل ولوزة

ـ لي رغبة بطفل مهما يكن ذكرا أو بنتا

ـ ناقشيه بالموضوع ؛ لعله يذهب لطبيب العقم

فلما كانت ليلتها فهي ما زالت تعيش في بيت برهومة الصغير ؛ فكان حسب الدين ينام ليلة عند سعيدة وليلة عند عايدة ، فلما حضر ليلا من المقهى حيث يلعب الشدة ويتسلى مع الناس قدمت العشاء والشاي وكان يتفرج في نفس الوقت على التلفزيون قالت : غنيم عايزة احبل

نظر إليها بحدة وقال : ماذا ؟!

ـ أريد أن اخلف ولو طفلا واحدا

ـ خذي واحدا من عند سعيدة

ـ لا داعي للهبل .. أنا أعطيتك الكثير من المال .. اذهب وتعالج من العجز كما تقول سعيدة

ـ تعالجت وقال الدكتور أنت عندك عجز دائم

ـ اذا لم تتعالج واحبل سوف نتطلق وأتزوج شابا صغيرا

ـ هذا تهديد صريح يا عايدة ! أنا ما بتهدد

ـ أريد طفلا منك أو من غيرك

ـ لماذا هذا النكد يا غالية ؟

ـ أريد طفلا .. سأصبر أسبوعا واحدا اذا لم تبدأ بالعلاج سأحمل من غيرك وأقول للناس هذا منك أو طلقني

ـ سأفكر .. اصبري قليلا

ـ كم ساعة اصبر عليك؟

ـ من وضع في مخك هذا الموال ؟!

ـ مخي .. معي فلوس .. لقد صرفتها باستشاراتك ، ولم استلم قرشا واحدا كمربح لحتى اليوم

حك رأسه وقال : كم تعطينني اذا طلقتك؟ هل وجدت عريسا جديدا ؟

ـ لم اجد مجنونا جديدا .. وستدفع أنت كل ما أخذته من مال برهومة

ـ وإذا لم افعل

ـ أنا عايدة يا معلم غنيم

ـ لو لا حبي لك لما قبلت بك زوجة يا بنت الحلال

ضحكت قهقهه وقالت : تزوجتني يا غنيم من اجل فلوس برهومة .. أنا بنت سوق ومعلمة حفيت قدماي من الفر من اجل لقمة العيش .. أنت من يوم ما تزوجتك لم تعمل بقرش واحد تذهب للقهوة من الظهر حتى الليل .. تتغدى وتنطلق .. عمك برهومة كان بشتغل ولو بالنشل كان يشتغل يا معلم

تنهد وقال : من لعب بمخك يا عايدة ؟

ـ لست عيلة يا سيد غنيم

***

شقاء مستمر

ذهب سعدي للمقهى الذي بدأت منه قصة زواجه بدليلة فلما حضر عدي ورفاق المقهى قال سعدي : يا معلم عدي لي ساعة بنتظر فيك .. لها اكثر من شهرين خارج الشقة

ـ تعني هربت

ـ لا ادري !

قال الآخر : لعلها مسجونة يا سعدي!

ـ مسجونة ! لم يخبرني احد بسجنها ..أنا محسوب انني زوجها ، ولم تبعث لي رسالة وانا تورطت بأجرة الشهرين وراتب شهرين فوقهما لم استلمهما

ـ لها شهران مختفية .. فعلا كثير ! سوف أتعسعس عنها .. الراجح أنها هربت مع احدهم .. أكنت تعاشرها ؟ كانت تسمح لك

ـ مرات محدودة كانت تنفر مني

ـ سوف آتيك بالخبر اليقين يا معلم سعدي .. أين كنت تسكن قبل زواجك؟

ـ في حارة أمي في بيتها .. انتم تعلمون أن أمي أرملة من عمر طويل

ـ عد إليها أو ستأجر شقة رخيصة .. أنت ما زلت تعمل مع المعلم مطيع بياع الملابس الرخيصة

ـ ما زلت

ـ سآتيك بخبرها هناك

ـ هل تحبل هي ؟

ـ لا ، اطمئن فهي لا تحمل

ودعهم وخرج إلى مقهى وسط البلد مقهاه القديم مقهى أبي عبدة ، ولم يكد يستريح ويطلب الشاي حتى اخبره احد الندل أن المعلم يريد الكلام معك فحمل كأس الشاي وزحف لمنصة المدير مدير المقهى فقبل أن يجلس قال : وصلت رسالة من معلمك القديم عيد

فقال بحيرة واستغراب : عيد ارسل لي رسالة على عنوان المقهى ! دهش جدا وقال لنفسه : لي

اكثر من سبع سنين لم اعرف عنه شيئا وقال رافعا صوته : أين هي ؟

ـ سيبحث لك عنها كامل فهي جاءت من زمن

عاد للجلوس يشرب الشاي ويدخن ، وبعد نصف ساعة أعطاه كامل عامل المقهى الرسالة فنظر إليها فكانت من لبنان ففتحها وكانت رسالة من عيد يخبره فيها انه يرغب برؤيته فهو يرقد في احد مستشفيات بيروت .

فقال : مريض ! ماذا يبغي بعد كل هذه السنين ؟! عيد في المستشفى ما الذي أصابه ؟ هل أسافر فالرسالة لها اكثر من أسبوع ؟ هل ما زال مريضا؟ لابد من رحلة لبيروت لعلي التقي بتلك الصبية التي خلبت لبي .. ما اسمها ؟ حمامة .. لم اعد اسمع عن أهلها شيئا .. لابد انهم استسلموا لهربها .. كانت بنية حلوة وصغيرة .. ولكنها وقعت بين مخالب عيد .. عيد أبو النسوان .. كيف كان يوقع البنات في شباكه بكل سهولة ؟ ! كان عفريتا من الجن

***

انهى سعدي عقد إيجار شقة سيدو عدنان ، وحسم امر السفر لبيروت ليقابل صديقه السابق لعله يحظى برؤية حمامة ، فهو عاش معها كزوج عندما أخفاها حتى أنها تعلقت به اكثر من عيد حتى تمكنت من السفر إلى سوريا ـ تنهد بشوق العشاق ـ وقال بشهوة : اشتاق إليها اكثر من عيد فقال محدثا نفسه : هل أخبرت عيدا بما جرى بيننا من حب على نفس سرير دليلة

قال لمطيع ظهرا : أريد إجازة لمدة أسبوع لزيارة الشام

ـ وماذا لك في الشام ؟

ـ صديق يعمل هناك اتصل بي لزيارته وتحمست للزيارة فقلت أعيش معه أسبوع زمان يا معلم مطيع

ـ ماذا يعمل صديقك في الشام ؟

ـ لا اعرف لي سنوات لم اسمع صوته ثم اتصل وقال أنا بحاجتك سأذهب وارى ماذا يريد مني بالضبط ؟

ـ هو من سكان البلد ؟

ـ نعم ، ترافقنا قبل سفره

ـ أسبوع واحد يا سعدي لا احتمل اكثر من ذلك .. وهذا الأسبوع على حسابك لو يوم يومان المحل بتحمل أجرتك أما أسبوع فكثير .. من غدا تبدأ الإجازة

ـ شكرا سيدي مطيع قبل أسبوع سأكون هنا

***

انتقل برا لدمشق ولم ينزل أي فندق تناول وجبة طعام في احد مطاعم مجمع سيارات بيروت دمشق ، ومنها سافر بيروت ، ولما وصلها بعد ساعات استأجر عرفة في احد الفنادق الرخيصة في بيروت وفي الصباح سأل عن عنوان المستشفى الذي كان يرقد فيه عيد ؛ لأنه لا يعرف مكان سكنه ولم يذكره الرجل في الرسالة ، وحتى سأل نفسه لماذا رحل لبيروت؟ هو سافر بحمامة لدمشق .

ذهب للمستشفى بعد أن عرف موقعه يستفسر عن عيد وعن عنوانه الذي أعطاه للمستشفى كما هو متبع في الأنظمة الصحية ، فقيل له انه مات من فترة ، ولما سأل عمن اهتم بدفنه وأغراضه وأعطاهم رسالة عيد ليصدقوه ، فتبين له أنه كان يعمل في التهريب بين دمشق وحمص ولبنان وقد تعرض لرصاص من قبل مهربين يتنافسون ، وأعطى عنوان شخص كان يرافقه في المستشفى وهو الذي اهتم بدفنه وتبليغ أسرته في الشام

***

التهريب مستمر عبر الحدود بين لبنان وسوريا، إذ تدخل البضائع لا سيّما الفواكه والخضار التي تخزن في لبنان وتُغرق الأسواق ، وحتى يهرب البنزين بين البلدين وفي سياق مكافحة التهريب، أعلنت مديرية أمن الدولة، أنها دهمت مخازن وتعاونيّات زراعيّة تعمل بالتنسيق بين بعضها البعض على إدخال وتوزيع الخضار المهرّب من سوريا إلى لبنان وأوضحت المديرية أن هذا التهريب ينعكس سلباً على المصلحة الاقتصاديّة للمزارعين الذين رفعوا الصوت نتيجة

الخسارات الماليّة التي يتعرّضون لها .

كانت حركة التهريب مُحكمة بشكل أكبر، حيث كانت محصورة عن طريق النهر بعدد محدود من المهربين الذين يحظون برضى عناصر الجيش السوري المتواجدين عند المعابر غير الشرعية ، ويتم ذلك على مرأى من عناصر الأمن العام المتواجدين على الحدود ،على قاعدة المثل «طعمي التم بتستحي العين» بحسب تعبير المهرب.

وبالرغم من أنّ الدخول والخروج من لبنان إلى سوريا متاح عبر الحدود الرسمية، ولكنها مقتصرة على معبر المصنع الحدودي بالنسبة للبنانيين الراغبين بدخول سوريا والسوريين الراغبين بدخول لبنان

وتختلف تسعيرة التهريب بين المناطق الحدودية، ففي منطقة وادي خالد، تبدأ التكلفة من ٥٠ دولارًا للبنانيين و١٠ دولارات للسوريين، مع إمكانية وصولهم إلى مدينة حمص السورية، وترتفع هذه التكاليف لتصل إلى ١٠٠ دولار إذا كان الدخول باتجاه لبنان أما المعابر غير الشرعية في جرود الهرمل، التي تؤدي أيضًا إلى حمص، فتُعتبر الأخطر أمنيًا والأعلى تكلفة، حيث يبلغ متوسطها ١٥٠ دولارًا.

***

اتصل به من المستشفى برفيق الساعات الأخيرة ، ولما عرف المتلقي الاتصال ممن هو الذي يتحدث معه قال : انتظر انتظري أمام المستشفى سأكون عندك .

وتبين لسعدي من لهجته أنه لبناني وان اسمه ماهر شريف ، بالفعل بعد وقت توقفت سيارة أمام المشفى ونزل منها رجل كهل واقترب منه هاتفا : أنت سعدي

ـ نعم أنا سعدي

ساقه إلى مقهى بيروتي بعد الترحيب ، ولم يكن في المقهى هذا الصباح أعدادا كبيرة من الرواد بعد تعارف سريع مع أكواب الشاي قال ماهر : تأخرت كثيرا

ـ لم اقرأ الرسالة إلا من ثلاثة أيام .. قد أرسلها على قهوة اعتدنا الجلوس فيها وبعد سفره لسوريا

قللت من الجلوس فيها

ـ كان يرغب الرجل برؤيتك بكل قوة لتصل لامرأته في اليرموك

ـ ألم يحدثك عن عنوانها ؟

ـ لما لم تحضر حسب رغبته كلفني أنا بدلا عنك ؛ لأنه كان يحتضر .. ترك لها بعض المال من شغلنا في التهريب بين بيروت ودمشق .. كنا نعمل مهربين لكل شيء حتى السيارات الجديدة اذا تحب أن تذهب إليها وتقابلها سأدلك على عنوانها .. كان يريد إعادتها لبلدكم .. أن تعود لأهلها ولك خاصة يا سعدي

ـ حسنا .. هل الوصول لبيتها سهل

ـ سهل جدا؛ ليس صعبا .. قابلتها .. هي وحيدة بعد موت عيد قد تقبل السفر معك والأرجح أن ترفض

ـ لماذا ؟!

ـ لم تكن امرأة صالحة .. لما التقيت بها وجدتها تعمل في الدعارة ؛ لتعيش كانت تعيش مع صاحبك بدون عقد زواج رسمي زواج شكلي أمام الفضوليين

ـ يا الهي !

كتب له العنوان على ورقة مقهى وقال : اذا لم تتمكن من الوصول إليها اتصل بي على نفس الرقم الذي أعطاك إياه المستشفى .. لو لا انني مطلوب للأمن السوري لرافقتك لتصل إليها بسرعة ولكن اذا اضطررت سنلتقي في احد مقاهي المخيم .. فهي تعيش قربه ..قرب مخيم اليرموك الشهير في الشام

***

الدعارة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا متواجدة ولو بمسميات أخرى ولا يخفى على الباحث عنها ، فيعتبر البغاء غير قانوني إجمالاً ، وفي أغلب الأوساط العربية تعتبر الدعارة «شيء غير أخلاقي» ومخالف للقانون والأخلاق ، وفي بعض الدول يتم محاسبة ممارسيها، إلا أنه في

غالب الأحيان يتم غض الطرف عنها ، إذا كانت برضى الطرفين دون إجبار ، وتتم ممارسة الدعارة خارج رقابة القانون ، الدعارة في سوريا مسألة غير قانونية ، حيث أن القانون السوري صارم فيما يتعلق ببيوت البغاء وبالعاملات فيها ، ويُقدر برنامج الأمم المتحدة المشترك أن هناك ٢٥,٠٠٠ من العاهرات في البلاد ،تُعاني سوريا من مشاكل جمة عندما يتعلق الأمر بالدعارة كسائر بلدان العرب ؛ ويعد الاتجار بالجنس واستغلال الأطفال إباحيا ثم السياحة الجنسية من أبرز المشاكل التي تقف في طريق سوريا نحو محاربة الظاهرة.

خلال الاستعمار الفرنسي لسوريا ولبنان ١٩٢٣ -١٩٤٦ وشمال افريقيا تم تقنين وتنظيم البغاء ، ويُعتقد أن ٧٤٢ من البغايا تم تسجيلهن وحصلن على وثيقة تؤكد أنهن ممتهنات للدعارة باعتراف السلطات ولكن يعتقد أن العدد الفعلي أعلى بكثير ، الدعارة في لبنان قانونية ومنظمة فبالرغم من عدم إصدار أي رخصه من عام ١٩٧٥ إلا أن الدعارة تحدث بكثرة في النوادي الليلية الكبيرة ، ولكنها غير قانونية في الشوارع، البارات، الفنادق وبيوت الدعارة.

غالبية العاهرات في لبنان يأتين من خلال الهجرة من الدول العربية ، ويتم مراقبة المومسات العاملات في نوادي الكبار عن كثب ، ويتم مراقبة الحدود من خلال الأمن العام اللبناني، كما أن إقامات العاهرات لا تتجاوز ستة أشهر، ويتم ترحيلهن إذا تم القبض عليهن بعد انتهاء تصاريحهن ومعظم المومسات في لبنان يدخلن البلاد للعمل في أندية الكبار، تحارب الدولة بكل أجهزتها مشكلة تهريب البشر للممارسة الجنس.

تحدث دعارة الشوارع في البلد وتكون أكثر المومسات إما لبنانيات أو سوريات؛ كما تحدث أيضا في البارات خصوصا في منطقة حمراء في بيروت وجونيه ، البارات مرخصة،لكن ليست للدعارة ، في الغالب يكون في نهاية كل بار غرف سرية وتكون أكثر المومسات في تلك الحالة من المصريات ، السوريات والسودانيات اللاتي يعملن تحت إدارة الأم أو البطرونة أي القوادة تحافظ البارات على رخصها وسريتها عن طريق الرشاوي لقيادة الأجهزة الأمنية، يتم

ممارسة الدعارة أيضا فرديا في الفنادق أو الشقق المأجورة.

تعتبر لبنان مصدر ومحطة نقل للنساء والأطفال من شرق أوروبا إلى باقي دول أوروبا والعالم حيث تأتي النساء من أوروبا الشرقية وشمال أفريقيا إلى لبنان للعمل في نوادي الترفيه من خلال فيزا لبنان للفنانين والتي تضمن إعلانات جنسية.

الدعارة أو البغاء هي فعل استئجار أو تقديم أو ممارسة خدمات جنسية بمقابل مادي والمصطلح له عدة تعاريف فالبعض يعتبر الدعارة ببساطة «بيع الخدمات الجنسية»، بدون أدنى إشارة إلى التمييز بين الدعارة القسرية والدعارة الطوعية ، الدعارة ظاهرة قديمة ويربط البعض منشأ الدعارة بالفقر ، يعتبر البعض مفهوم الدعارة مرتبطا بمفهوم توازن القوى ورمز القهر في المجتمع، ويورد هذا التيار مثال تعرض البعض لتحرشات من قبل صاحب العمل لأسباب اقتصادية ، هناك العديد من جمعيات الدفاع عن حقوق الإنسان مثل جمعية» المساواة الآن «ومقرها نيويورك، تذكر أن تعريف الدعارة يعنى ضمنياً ممارسة الجنس إجباراً وقسراً، مهما كان مصدر هذا الإكراه أو القسر ، لأن الأوضاع الاقتصادية المتردية تجبر كثيرا من المومسين على احتراف هذه المهنة ، وفي هذه الحالة ليس هناك خيار أمام الفرد سوى بيع الجسد، أو الموت جوعاً ، ولذلك فإن عنصر القبول أو الموافقة يعتبر غير متوفر وليس بالضرورة استخدام القوة أو الخداع من قبل النخاسين ضد ضحاياهم من الأفراد. المدافعون عن تنظيم الدعارة في إطار قانوني يرون أنها ستكون موجودة في كل الأحوال ، ولن تتوقف سواء أن نظمتها الدولة أم تجاهلتها، تختلف مدفوعات البغايا وأجورهنّ حسب الظروف الاقتصادية في بلدانهن ، تعتمد البغايا اللاتي تقدمن الخدمات لعملاء أجانب، مثل المسافرين بغرض العمل، على الظروف الاقتصادية الأجنبية الجيدة، قد يختلف الدفع وفقًا للتنظيمات التي يضعها القوادون وزعماء هذه المهنة ، وأصحاب بيوت الدعارة ، والسيدات، والوسطاء، الذين يأخذون نسبة من دخل البغايا، قد تعتمد الأسعار على الطلب ، إذ يمكن أن تكسب البغايا المشهورات والراقيات مبالغ كبيرة من المال (تصل إلى ٥٠٠٠ دولار لكل عميل)، وقد تتلقى

العذارى مدفوعات أعلى ومثلهن الصغيرات ، يقسم البعض ظاهرة الدعارة في الدول العربية إلى ثلاثة أقسام: ظاهرة شبه علنية تنتشر في الدول التي تعتمد على السياحة والوافدين الأجانب حيث تمارس الدعارة في الفنادق والشقق المؤجرة. ظاهرة الدعارة في الخفاء، وتكثر في الدول التي تضع عقوبات مشددة عليها. منظمة لها أرباب يسمون بالقوادين حيث تعمل عدة عاهرات لحساب قواد يقوم بتوظيفهن كمبدأ الشركات الربحية، ويجدر بالذكر أن هذا النوع من الدعارة هو الأخطر والذي يخضع لأشد العقوبات صرامة.

والدعارة نوعان دعارة نسائية وهي المشهورة والغالبة في العالم ودعارة الذكور وقد تشمل ممارسة الجنس بين الرجل والرجل أو بين الرجل والمرأة بحيث تكون المرأة هي الزبون الذي يدفع ، وقد صارت هذه الأخيرة منتشرة في الدول السياحية الفقيرة حيث تستغل السائحات المتقدمات في السن أو المطلقات أو اللاتي لا ميول لأبناء جنسيتها إليها فتضطر إلى دفع المال والحصول على شباب فقراء تستمتع معهم للتعويض عن النقص الحاصل لديها، أو نساء الطبقة الأرستقراطية اللواتي يسعين وراء المتعة مع شباب من الطبقة الفقيرة مقابل المال أو الهدايا.

***

لم يتغلب سعدي كثيرا بالوصول لغرفة حمامة الصغيرة ، وتبين له باعترافها إنها منذ ولدت طفلها الذي مات بعد الولادة بأيام هجرها عيد ، ولم يعقد عليها بشكل قانوني ؛ لأنه عرف منها أن سعديا عاشرها خلال مدة الابتعاد عنها ، ولكنه كان يأتي أحيانا للعيش معها بشكل زوج صوري قبل الذهاب لبيروت ، وبينت له أنها تعمل مع قواد وقوادة لتعيش حياتها المضنية التعيسة ، فاشفق وتألم سعدي عليها وعلى بؤسها وعرض عليه الزواج منه والعودة معه للبلد فرفضت العرض قالت بعد نقاش : سأعيش ما تبقى من سنوات هنا ، لا رغبة لي في البلد سأموت هنا .. عليّ أن أتحمل نتائج عهري مع حارس مزرعة أبي

قضى عندها ثلاثة ليال يجادلها بالزواج منه ، وحدثها عن زواجه من دليلة وهربها الغريب ، ثم ودعها ببعض المال عطفا وشفقة وأعطاها رقم مؤسسة الملابس الجاهزة اذا غيرت رأيها ، ثم

رحل حزينا على حالها وعلى عظم وكبر غلطتها مع أهلها .

***

دخل سعدي بيت أمه مع الغروب واخبرها بأنه أمسى هذه الأيام بغير بيت سيعيش معها بضعة أيام حتى يجد غرفة صغيرة على حجمه فقالت بغيظ مكبوت : أنت افشل واحد في أبنائي كلهم احس منك كبروا بعضهم .. تزوج بعضهم وبعضهم خاطب ظلك مع الهمل والسكارى

ـ لم تحسني تربيتي يا أمي

ضحكت وقالت : حجة الهمل .. لماذا إخوتك وأخواتك تربوا احسن منك؟ .. لأنك عشت مع الصيع والفشلة مثل عيد المطرود وغيره من همل الحارة والحارات المجاورة .. رحت تعمل بياع شنطة كأنها وظيفة أبي زيد ..

ـ ما مضى لن يعود .. تحمليني كم يوم ..

ـ سأتحملك مجبرة .. أخوك سمير عنده طفل اليوم

ـ والله أنا تزوجت يا أمي .. بس استحيت أن ادعوكم

ـ تزوجت عاهرة فاجرة أكيد

ـ هذا اللي حصل .. بنت ليل كما قلت كانت تصرف عليّ .. وتدفع أجرة الشقة ، ثم غدرت بي وهربت ولليوم لا اعرف مصيرها

دخل اخوه سمير وسمع آخر الكلام ولما سكت قال متهكما : هذه آخرة العيش مع البغايا .. هذا أنت عايش يا سعدي لنا شهور لم نرك تصل رحمك

ـ اسكت يا سمير أنا قبل قليل عدت من الشام

ـ رحت تتهملن هناك .. سمعتك وأنا داخل تتحدث عن زواجك من بنت ليل

ـ مجرد زوج .. أنت ماذا سميت ابنك ؟ سمعت أمي تقول انك ولدت

ـ زوجتي التي ولدت .. سميته خالدا

ـ الف مبارك . واخرج سعدي ورقة فلوس ومدها لشقيقه قائلا : نقوط بسيط

ـ وصلت أعطيها لأمك ..ـ مدها جهة أمه ـ ماذا كنت تفعل في الشام ؟ ذهبت تبحث عنها

ـ لا ، لي صديق اعتقد أنكم تذكرونه .. ابن الحارة القديم عيد صياد

قالت : كيف لا نذكره وهو من أسوأ شباب الحارة قبل طرده .. كان يأتي لشرب الشاي معك

قال سمير : ماله صاحبك عيد ؟

ـ مات مقتولا في لبنان

قالت الأرملة فزعة : يا الهي ! وماذا ذهب يفعل في لبنان ؟

ـ كان من سنوات مهربا بين دمشق التي رحل إليها قبل سبع أو ثماني سنوات ولبنان فاطلقت عليه النار من عصابة أخرى فرقد في المستشفى فترة فارسل لي رسالة أثناء وجوده في المستشفى على قهوة أبي عبدة .. مقهانا القديم فصدف أن كنت هناك قبل أيام فذكروا لي امر الرسالة فكان يطلب من السفر لبيروت ورؤيته يبدو انه كان يرغب بأن يوصيني على زوجته في الشام قبل انتهاء حياته

قال سمير : سافرت ووجدته ميتا

ـ نعم كان ميتا من أسابيع .. قرأت الرسالة بعد أسابيع من وصولها وأعطاني المستشفى هاتف شريكه في التهريب وأثناء المعالجة وتقابلنا وبين لي رغبته باللقاء بي قبل الموت .. وأعطاني عنوان زوجته المسكينة بجوار مخيم اليرموك بدمشق

قال سمير : مخيم معروف وكبير .. أذهبت ؟

ـ ذهبت إليها فوجدتها تعيش في خم دجاج .. ورفضت العودة معي

قالت أمه : لماذا ؟! وهل لديها أطفال منه ؟

ـ لم تكن زوجة شرعية ؛ ليس بينهم عقد زواج .. ومنذ انتقل لبنان وهي شبه مهجورة وللأسف لم تجد حيلة للعيش إلا العمل في الدعارة

صاحت الأم بحزن وألم : يا للهول بغي يا رب استر !

قال سمير : مأساة .. وهل أهلها من هنا؟

قال كاذبا : لا ادري! ربما من جنسية عربية .. فالمخيم كما فهمت يحوي من جنسيات عربية كثيرة ليس كلهم من فلسطين

ـ صحيح ، مناصرو الثورة الفلسطينية من جميع دول العرب والعالم

قالت بشفقة وحزن : اصلحها الله .. وأنت لماذا هربت من تسميها امرأتك ؟

ـ لأنها قحبة .. زعمت أنها ستتوب وانها تحبني ولن تعود لفجورها فصدقت ذلك ، وصحيت من النوم قبل شهرين ونصف فلم أجدها في الشقة التي استأجرتها لنا في شارع سيدو عدنان .. ولليوم مفقودة وسألت من اقنعني بها فكان رده البارد ؛ لعلها هربت منك أو وجدت ذكرا اقوى منك .. وانا انتظر حتى تظهر ليحصل الانفصال

قال سمير : أنت حياتك بائسة لك اكثر من عشيقة مثل صاحبك عيد .. ما هي هذه الحياة التي تعيشون فيها من فتاة لأحرى مثل حيوانات الغابة ؟! يا عمي الحياة أخلاق وحسن خلق .. ليتني أراك رجلا صالحا يا سعدي ! أنت المفروض لما مات أبوك أن تكون رجل العيلة .. أبونا

ـ فات الأوان يا سمير فقدت السيطرة على نفسي

ـ لم تبلغ من الكبر عتيا .. لم يفت الأوان .. باب التوبة لم يغلق .. راجع نفسك مع الله ستجد بابه مفتوحا .. كل بني آدم خطأ وخير الخطائين التوابون

ـ تعودت على الخمر

ـ كل إنسان يستطيع الخلاص من عادة قبيحة وخبيثة .. هنا في هذه الحارة شبان سقطوا وراء الشهوات والميوعة مثلك ثم ادركوا انفسهم ، ومنهم بعض زملاء مراهقتك البائسة

ـ أنا عاجز عن الإصلاح .. تشربت الفساد والحقد على المجتمع

ـ وماذا سيؤثر حقدك على المجتمع ؟ ها هو رفيقك كما تخبر مات مقتولا برصاصة عصابة منافسة ولم يجد من يساعده إلا مهرب مثله .. عد للعيلة

ـ آه ! ما اسهل النصح يا ابن أمي وأبي .. أنا في ضياع وتيه .. لو كنت عاقلا أأتزوج أمراه سيئة تزعم أنها ستكون صالحة قلنا نستر على بعض

ـ ستعود لك لما يلفظها عشيقها ويمل منها سيرميها عليك .. سيقول لها زوجك أولى بك

***

استيقظ مبكرا وتناول خبزة صغيرة من يد امه غمّسها بكوب الشاي الذي حضرته له الوالدة وقال مودعا : تحملينني بضعة أيام أنا اعمل موظفا أو بياعا في معرض مطيع

قالت مرشدة : تأمل في كلمات شقيقك الأصغر منك .. واعد ترتيب حياتك فرحمة الله تسع كل شيء

قال : خذوا الحكمة من أفواه الصغار

ـ الحكمة تخرج من الصغير والكبير .. أخوك استوعب الحياة وشدتها فعرف خط سيره فيها .. كان يجب أن تكون أنت القدوة للأصغر منك

ـ لا داعي للتأنيب اليوم

ـ ما دام أنت في وجهي عليّ أن أؤنبك ؛ لعلك تعود ابن صالح يعيش مع العيلة في مسراتها وتعاستها .. من يرضى أن يعيش مع المومسات كزوجات

ـ آه! يا أمي كلامكم يوجع القلب

وبعد شرب الشاي بالخبز غادر الحي القديم نحو مؤسسة مطيع مطاوع ووصل إليها مع فتح الأبواب وسلم على الشباب فقال احدهم وهما يتصافحان : متى عدت ؟

ـ ليلة امس

ـ سلامات

بعد قليل حضر المالك الأول مطيع ويعد مصافحة قال لسعدي : عندما يحضر حسن المحاسب فلتتحاسب معه لقد استغنينا عن عملك معنا

نظر ثوان في مطيع وقال : ها أنا عدت هو مجرد أسبوع وبإذن منك

ـ اغلقنا في غيابك بعض الفروع .. وسنقلص الأعداد منك ومن غيرك

ـ وقع خيار التقليص عليّ

ـ سيشمل غيرك واذا احتجنا لجهودك سنعاود الاتصال بك

وبينما هما يتحدثان ويستعطف المدير للبقاء دخلت المؤسسة امرأة عرفها سعدي فقال لها : كيف أنت يا عايدة اليوم ؟ من أيام ترك بيعنا بالحقائب لم ارك أنت وسعيدة

قالت له : أهلا سعدي وانا لم ارك أين أنت ؟ علمت انك تشتغل معهم

ـ كنت اعمل هنا بعد توقف بضعة شهور .. واليوم المدير فصلني وانا انتظر سيادة المحاسب لنتحاسب .. وأنت ما أخبارك اليوم ؟

ـ أنا عدت لبيع الملابس على حسابي الخاص .. أنا جئت لشراء ملابس وأبيعها لحسابي

فقال مطيع : زوجها مات من فترة وورثت بعض المال وتزوجت زوج سعيدة المعروفة لك وضيع القرشين فجاءت تبحث عن عمل فنصحناها أن تشتري منا وتبيع لنفسها .. فبيع الشنطة لنا سنوات معطلون ذلك .. فقد أساء للشركة .. ليس كل البائعة أصحاب أخلاق

قالت : هل تعمل معي يا سعدي ما دام طردوك أو فصلوك ؟

قال : ماذا اعمل معك ؟

ـ كما كنت تعمل مع المعلم مطيع

قال مطيع : فكرة جيدة يا سعدي ! هي تأخذ كميات لتبيعها وأنت تشاركها في البيع .. اشتغل معها ليس ذاك بغلط

ـ كبرت سني يا معلم .. أعود للفر والدوران

قالت : اسمع لا تعود للفر .. اجلس في سوق وشارع اعمل بسطة

قال مطيع : البنت افهم منك سعدي

قال : حسنا سأعمل معك حتى يتيسر لي شغلا ..أين مقرك ؟

ـ مقري البيت .. ستذهب معي للبيت .. لما أعبئ الأكياس نأخذ سيارة للبيت وهناك تتعرف على زوجي غنيم ، وسعيدة ضرتي أنت تعرفها

لما حضر محاسب الوكالة جرى الحساب واخذ سعدي ما له من أجرة باقية لديهم ، ولما جهزت

عايدة البضاعة ، نقلوا الأكياس المليئة بالملابس إلى رصيف المحل حتى تيسرت سيارة أجرة وحشرت فيها تلك الأكياس البلاستكية الكبيرة المحشوة بالملابس المتنوعة إلى بيت عايدة وسعيدة

***



عايدة

عرفت عايدة غنيها على البائع سعدي وانه صديق الشغل منذ سنوات وهو صديق لزوجته الأخرى سعيدة ، كانت عايدة تعيش في بيت زوجها السابق برهومة النشال وبجوارها بيت ضرتها سعيدة ، فهم غنيم سبب مجيء الزميل القديم الذي فصل من عمله صباح اليوم ، قرر سعدي بسط بضاعته في سوق الباصات الكبيرة ، واخذ حصته بأحد الأكياس وانطلق إلى ذلك المجمع وبعد خروجه قالت عايدة : لماذا لا تفعل مثله يا معلم ؟

ـ لم أتعود على البيع يا عايدة

ـ مع الوقت بتتعود .. هو احد يولد معلما .. أنت صرفت أموالي أموال موت برهومة ..وأنت اليوم بسد بكرة بسد

صاح محتجا على المعايرة : عدنا لتلك الأسطوانة

ـ يا رجل لا اعرف كيف كانت وما زالت سعيدة صابرة على كسلك .. تعلم من سعدي كانت تحفى قدماه وهو يتجول في القرى والأحياء

ـ لا تظلي تولولي .. سعيدة راضية بالعيشة معي .. أنت آخرتك أرميك في الشارع

صاحت فيه : أنت ترميني في الشارع يا نصاب أنا برمي عشرة مثلك انقلع من داري .. خذيه يا سعيدة قبل أن اجرم فيه .. جهز نفسك للطلاق .. أنا لا دري لليوم لماذا أنا عائشة عندك ؟ لم تذهب للعلاج من عجزك يا عاجز ..خلاص طفح الكيل .. ضحكت عليّ وقلت ذهبت للدكتور علان فلما سألته قال لم أر وجهه .. اعتقدت انك بالكذب عليّ انتهى الموضوع

ـ رُحت ؛ ولكنه أعطاني موعدا للتحليل الأمر ليس بسيطا يا معلمة

ـ قال لم أر وجهه .. اغرب اذا لم تحضر لي نتائج التحليل .. الطلاق لابد منه .. أنت لا تصلح للزواج و لا تصلح للشغل

طردته هو وسعيدة قائلة : لما تنو تشتغل مثل عمك سعدي بتتصالح

***

أغلقت الباب وأخذت تجهز حقيبة لتباشر العمل صباح الغد وتعود لزبائنها القدامى ، تابع سعدي العمل مع عايدة وظلت عايدة حردنانة على غنيم ، ولم تقبل وساطات سعيدة التي كانت هي الأخرى تحمل شنطة من شنطات عايدة ، وتنطلق تفر على البيوت والنساء وزوجها يقبع في البيت مع الأطفال الذين شبوا تلك الأيام

سعدي استطاعت أن تدبر له عايدة غرفة يعيش في فيها بعد أن طردته أمه لخيبته فقالت : دبرت لك غرفة بسعر بسيط استر نفسك فيها .. هذه امك لا تحبك يا سعدي ابنها الكبير وتطرده من بيت أبيه

ـ الصحيح يا عايدة أنا ولد خائب .. أنا اكبر الأسرة .. كلهم احسن مني درسوا وكملوا دراسة وجامعات إلا أنا .. مشيت مع عيد المعلم الذي كان يعمل معنا من سنوات .. بعد أن تركنا المدرسة كنا أولاد حارة احترفنا الزعرنة ..

ـ بعدين اسمع مذكراتك .. خذ الكيس وانطلق .. الشغل اهم من التحسرات والذكريات

ـ رفع الكيس وقال : معك حق .. المال اهم من الندم

ـ أنا لما اخلص دوران سأنظف لك الغرفة واجري على الله

ـ بارك الله فيك يا معلمتي

***

اصبح سعدي وجها معروفا ومألوفا في ساحة تحميل وتنزيل الركاب ، فكان ينشر ويفرد شرشف سرير وينشر عليه حمولة الكيس ، ويبيع للركاب والناس التي تنتشر في المكان ، وذات مساء جاءه الرفيق الذي زوجه دليلة بعد معرفة عشته الجديدة ، واعلمه بعودة دليلة ، ولها أيام تبحث عنه ، ووجدت الشقة مسكونة ، فرفض العودة إليها وسعى الرفيق للصلح بينهم بكل قوة وبعض عدة اجتماعات بينهما ومحاولات ضغط اصر على عدم اللقاء بها وقال : لم اعد أطيق العيش معها .. فضحتني اكثر من المتوقع يا عدي

قال : أبدت آسفها على تأخرها كل هذه المدة وستدفع لك أجرة كل الشهور التي فارقتك فيها

ـ العيش بيننا انقطع

ـ بتجدد العيش

ـ خليها تجرب حظها مع غيري

حتى رفض طلاقها قال : خليها على ذمتي .. لي في ذمتها شهرا إيجار .. غير راتبي

غاب عدي أياما ثم رجع يترجاه للعودة والعيش معها فقال : لماذا اعيدش معها ؟ سواء كنت معها أم لا ؛ فهذا لا يؤثر على عملها .. تعتبرني مسافرا مثلها

ـ هل ترغب بطلاقها ؟

ـ غير مهم ..

ـ هي تريد أن تعيش معها ، لقد استأجرت شقة أخرى أمام الناس واهل العمارة

ـ لماذا لم تتزوجها أنت أو صاري ؟

ـ نحن متزوجون يا معلم سعدي .. عندنا نسوان وأولاد

ـ لم اعد أطيق العيش معها يا حبيبي .. فلتبحث عن غيري

ـ تريد الطلاق

ـ الطلاق بيدها هي

ـ العصمة بيدها

ـ هكذا شرطت على القاضي

ـ لم اكن معكم ..سأحدثها برفضك المليون

ـ برفضي المليار

ـ ألم تكن تكسب مالا من صورة الزواج؟

ـ شيء بسيط لا يغني شيئا .. بيع الشنطة افضل من عطاياها

يئس عدي من إقناعه بالعودة كزوج وهو في الحقيقة قوادها فختم اللقاء : استعد للطلاق

ـ بدون أن استعد أنا جاهز

ـ هل هناك زيجة جديدة ؟

ـ ساجد بنات الملاهي كثر

ـ لن تجد الدلال إلا عندها يا معلم سعدي .. ما أخبار صاحبنا عيد؟ لي سنوات لم التق به

ـ مات ؛ بل قتل

ـ قتل لم نسمع كيف ؟!

ـ قتل في لبنان ودفن هناك

ـ ومن قتله ؟

ـ اشتغل مهربا بين سوريا ولبنان وأثناء صراع دامي بين عصابتين أصيب بطلقات رصاص ومات في المستشفى

ـ صدمتني كيف عرفت ؟ هل كنت معه ؟

ـ بعدما رحل لسوريا لم اره ؛ ولكنه وهو يموت ارسل لي رسالة وداع وذهبت إلى هناك متأخرا لتأخر وصول الرسالة إلي .. فوجدته ميتا واتصلت بشريك له وتقابلنا وفصل لي الأمر وعدت حزينا وباكيا على رفيق العمر

ـ رحمه الله

***

اتفقوا على الطلاق لأن الرفيق سيدبر لها رجلا آخر يتابع معها المسيرة وذهبوا للمحكمة واشهروا الطلاق ، وأخذها الرفيق مبتعدا عن سعدي الذي عاد لعشته مخبرا لعايدة بطلاق من كانت زوجته ، فباركت له ذلك ، فالخلاص من امرأة كدليلة نعمة كبيرة ، ووعدته بأن تتزوجه هي فأنها وغنيم على وشك الانفصال ، لأنه يرفض تسديد دينها عليه ؛ بل صار ينكره ويرفض العلاج للإنجاب فقال سعدي : تسعين للإنجاب

ـ رغبت بالولد مثل سعيدة لها طفلان من اللعين

ـ اسمعي يا بنت الحلال .. أنا أيضا لا احب الإنجاب فلذلك ابق معه افضل لك والفلوس

العوض عند الله .. ما هو إلا زوجك !

ـ كرهته أنا لا احب أن يضحك عليّ ولو كان يسمى زوجي

ـ اذا كنت ترغبين بطفل فليكن من غيري ستجدين احسن زوج

ـ لماذا تكره الخلفة يا ملعون ؟

ـ قربت على الأربعين وسأبدأ اربي أطفالا

ـ أنا بربي .. اذا تمكنت من الحمل لا دخل لك بي ولا به

ـ واذا لم تحملي ترميني في الشارع .. فلنختصر الدرب من البداية خلينا أصحاب شغل وبس

ـ رأس مالي يحتاج لوارث

ـ امك وأبوك

ـ موتى .. واذا تأكد انك لا تنجب سأرضى بقدري أنا أحببتك يا سعدي ! أول ما عرفتك عند مطيع كنت فاكرة انك متزوج لانهم كانوا ينادونك يا أبا سيف

ـ لقب بدون وجود لسيف ولا أم سيف ..

ـ يا صديق الشغل اذا حصلت خلفة كانت ونعمت واذا لم يحصل ارضى بنصيبي

تنهد وقال : هو لابد أن يأتي يوم وأستقر فيه

***

وقبل غنيم الطلاق لرغبتها بالحمل ، ولم يلتزم باي درهم أو ليرة ، فرضخت عايدة للأمر ، وبعد شهور عقدت قرانها على السيد سعدي بدون حفل وبدون رقص وطرب ، وظلت جارة لسعيدة وغنيم ، واستمر عمل سعيدة معها دون أن يؤثر الطلاق على علاقتهما .

ذات ليلة كان سعدي يتناول العشاء معها فأخبرته بأنها عملت بعض التحاليل من اجل الإخصاب وقالت لها طبيبة المختبر والعيادة في نسبة نجاح في الحمل بعد كل هذه السنين من عدم الحمل ، فتمنى له شريكها حصول ذلك ورفض إجراء أي فحص لقدرته على الإخصاب ثم قالت : كنت اليوم في وكالة عمك مطيع وذكروا الشاب الذي كان يعمل معنا أيام بيعنا في

الحقائب لعلك تذكره اسمه عيد .. وذكرت لي مرة انه ابن حارتك وصاحبك

ـ آ، اعرفه، ماله كان صاحبي اكثر منك ومن سعيدة هو الذي علمني مهنة البيع المتجول في القرى .. وعلى ما اذكر أنت تعرفينه وكذلك سعيدة كان زميلا لنا

ـ أنا أعرفه قبل شغلي في الوكالة .. ذكروا أيام مشكلته مع بنت الريف لما اشتغل حارس مزرعة في القرية

ركز سمعه بانتباه شديد وقلق من جرح الماضي وقال : ولماذا ذكروا سيرته أيام المزرعة؟!

قالت : ذكروا المرأة التي اختفت وقيل أو شاع يومها في الوكالة أن عيدا حبس بسبب اختفائها أو هربها ولم يعرف لليوم أين ذهبت ؟ وأيامها قيل أن الملعون عيدا قضى زمنا في الحبس

قال بقلق خفي : وما الذي ذكر مطيع به ؟ فله عشر سنوات خارج البلد

ـ الشرطة أخذت مطيع لينظر لجثة وجدت مدفونة في احدى قرى قندور

ـ قالوا لعيد

ـ هكذا سمعتهم يقولون لبعضهم بعضا .. ثم انكر مطيع أنها جثة عيد الشغيل عنده من سنوات طوال .. وكذلك والده انكر ذلك ولكن الشرطة لم يثقوا بشهادة أبيه فطلبوا مطيعا

فقال سعدي شبه متباهي بالمعرفة : هي ليست جثة عيد بالتأكيد فأنا اعرفه حق المعرفة كنا أصدقاء في المقهى والعمل والسمر ..فعيد يا معلمة قتل في بيروت

صاحت : قتل ! وما ادراك ؟

ـ ما أدراني ! ذهبت لبيروت لمقابلته وهو يموت فوجدته ميتا

ـ لم افهم ؟

ـ عيد أخ لي ونحن أبناء حارة واحدة وهو الذي علمني بيع الملابس وعرفني على مطيع .. هاجر لسوريا وهناك اشتغل بالتهريب بين لبنان وسوريا مهنة رائجة .. وتعرض لرصاص من عصابة منافسة في لبنان ونقل للمستشفى فكتب لي رسالة خاصة على عنوان مقهى كنا نرتاده ؛ ولكن الرسالة وصلتني متأخرة وصدفة مررت على القهوة تلك فاخبروني بالرسالة فذهبت مسرعا

إلى بيروت فقيل في المستشفى انه مات وشبع موت وقابلت شريكا لعيد في بيروت والتهريب فقال لي جئت متأخرا ودفنته هنا ، ولما رجعت خائبا التقيت بك بعد عودتي من بيروت في الوكالة كنت قبلها بليلة ادخل البلد .. فهذه الجثة ليست له مليون في المائة

ـ أنا افهم أنك تعرف عيدا جيدا قبل العمل معنا في الوكالة .. هل تعرف زوجي السابق برهومة

ـ لا ، لا زوجك ولا زوج سعيدة

ـ هل تعلم أن عيدا هو الذي زوجني برهومة ، وهو الذي زوج سعيدة غنيما .. وربما ابنها الأول منه

ـ ابن غنيم منه !

ـ قيل ذلك .. سأعترف لك بما انك صديق عيد من القدم أن عيدا ابن الحرام هو الذي دمر حياتي وحياة سعيدة .. لقد عرفت عيدا قبل أن أعرفك واعرف سعيدة وغنيما .. عيد كان قوادا ويأخذ عمولات مثل كل القوادين ..

ـ بعرف

ـ حصل بيننا علاقة محرمة فلما أصررت عليه بالزواج قال لا احب الزواج ولا الأطفال سأزوجك من شخص صديق لي يستر عليك هذا ما أستطيعه تجاهك .. وأهلي رفضوا عيشي معهم لما اعترفت لهم بخيبتي فرضيت بعرض اللعين وتزوجت النشال برهومة واعلم انه يستحق القتل والإعدام .. هو شيطان في ثوب إنسان

ـ صحيح .. فكان كما قلت من سادة القوادين في البلد ، وهو الذي ورطني في معاشرة المومسات وبنات الليل والشوارع .. أكملي

ـ فعرفني عرفني على زوجي الأول برهومة وتزوجنا وكما حصل معي حصل مع سعيدة نال منها وهمست له بأنها حامل فلبسها لغنيم العليل قليل الشغل

ـ زوجها له وهي حامل

ـ قيل ذلك .. وسعيدة تنفي الحمل منه بعد زواجها من غنيم وانه ابن غنيم إنما أرادت الزواج

من عيد .. فهو ولد ملعون كان يضحك على البنات ، ثم يغدر بهن ثم يزوجهن من أشخاص عالة على المجتمع لا يحبون العمل وتشتغل نساؤهم أي يعيشون على كد النساء فيضطررن للعمل وقلة الحياء

ـ الشغل ليس به عيبا للنساء أو الرجال

ـ شغل محترم يفرق عن شغل غير محترم يا حبيبي

كان يسمع وهو يتذكر قصة حمامة بحملها وتهريبها للشام ثم سقوطها في العمل في الدعارة لتعيش .

***

وصل سعدي موقع النقل الخاص بالحافلات وفرش شرشف الشغل ونشر عليه الثياب والملابس التي في الجوال الأسود واخذ في ترتيبها وسمع عامل البوفيه ـ مكان صغير لبيع الشاي والمشروبات الساخنة كالقهوة والنسكافيه ـ يصيح : ماذا يشرب المعلم هذا الصباح ؟

رد عليه بتثاقل : أصبحت تعبان يا معلم سلامة ؛ كأنني مصاب ببرد

فقال : ليكون أصبحت تتحمم يا معلم

رد قائلا : في الشهر صرت أتحمم مرة

ـ بعدك شباب يا معلم شاي كبير

ـ شاي يا معلم سلامة لا تنسى النعناع

ـ حاضر يا أبا الشباب .. سلامتك يا معلم

بعد الظهر بقليل وقف شاب على بسطة أو فرش سعدي فنظر اليه ثم قام مسلما : سمير هلا ومرحب .. كيف الحال ؟ كيف أمي ؟

ـ كيف حالك أنت ؟ وما هي أخبارك ؟ لما طردت آخر مرة لم نعرف عنك شيئا

ـ امك لا تحبني لم تتحملني بضعة أيام

ـ امك بعافية وانا من اجل ذلك مررت عليك .. أمك تعبانة وترقد على سرير الشفاء ورغبتها

أن تراك قبل مفارقة الحياة

ـ الوضع صعب إذن

ـ اصعب مما يدور في خلدك فمن اجل ذلك مررت عليك لتزورها ؛ لعلك تتحصل على رضا منها فأنت بحاجة لرضى ؛ لعل الله يوفقك ويهديك للحياة الطيبة بدلا من حياتك العفنة

ـ نعم أنا بحاجة لرضاها في أي مستشفى

ذكر له اسم مستشفى الذي تعالج فيه أم سعدي والقسم الذي تتعالج فيه فقال سعدي : عندي امرأة هل آخذها معي ؟

ـ تلك البغي التي هربت هل رجعت لك ؟

ـ لا ، واحدة ثانية اصلح منها لا تعمل في البغاء .. تلك لما رجعت طلقتني ؛ لأنني رفضت العيش معها فالعصمة الشرعية كانت مشروطة عليّ ..تزوجت المعلمة عايدة

ـ من المعلمة عايدة؟

ـ التي أبيع معها .. هذا الشغل لها .. سيدة محترمة مات زوجها الأول وطلقها زوجها الثاني فقبلت بي على امل أن تنجب طفلا ويبدو انني غير صالح للإنجاب

ـ ما دام أنها ليست تلك المرأة التي حدثتنا عنها فلا بأس بوجودها .. لعلها هي الأخرى تتحصل على بركات امك

ـ متى أذهب ؟

ـ الزيارة في كل وقت تحرك الآن أراك هناك أنا جئت خصيصا لأبلغك الرسالة المؤلمة

فتح كيس البيع ووضع فيها البضاعة وقال لسمير : جزاك الله خيرا انك تطوعت لإخباري نلتقي هناك

ـ إن شاء الله رتب أمورك وخذ بضاعتك لمستودعك أو مستودع المعلمة التاجرة عايدة الأرملة والمطلقة

صافح أخاه الأكبر وابتعد عن المكان بعدما أوصل خبر مرض أم سعدي إليه .

حين عاد مبكرا للبيت ، وجد عايدة فيه ، فاستغربت عودته المبكرة فحدقت بعينيه مستفسرة فقال : الغداء جاهز لم آكل شيئا في السوق كنت تعبان من برد الفجر

ـ لا ، هناك شيء يا سعدي لي اشهر بعيش معك

ـ سأذهب للمستشفى

ـ ما لك يا مسكين ماذا حل بك؟

ـ لست أنا المريض يا معلمة .. هل تذهبين معي لتتعرفي على أمي وبعض إخوتي

ـ أمك مريضة

هز رأسه بنعم وقال : مر عليّ شقيقي سمير وقال امك بتموت وعايزة تراك وترضى عليك

ـ هل اذهب معك؟

ـ أخبرت سميرا بزواجي منك وأنني طلقت تلك المرأة فقال فلتحضر معك لتباركها امك

ـ والله أنا بحاجة للبركة يا سعدي ماتت أمي وهي غاضبة عليّ ومثلها أبي لم يتحملوا المساكين سقوطي في الرذيلة

***

ارتدى انظف ثياب يملكها بعد حمام سريع ، وفعلت عايدة نحوه ووقفا في الشارع يرقبان سيارة أجرة تنقلهما للمستشفى المقصود ، لم يطل الانتظار فتكسيات المكاتب في حركة دائبة ، ركبا التكسي ذي اللون الأصفر لقضاء هذه المهمة ، لم يكن المكان بعيدا فهو في ضاحية من ضواحي المدينة ، صعدا للطابق الخامس قسم جراحة النساء كانت أم سعدي ترقد على سرير الشفاء وكان سمير وزوجته قرب سرير العافية ، تقدم سعدي مقبلا لرأس امه وفعلت عايدة مثله وجرت لحظات تعارف بين سمير وزوجته وعايدة وقالت الأم : كانت عملية صعبة يا سعدي واحس بأنها الأيام الأخيرة من حياتي .. والحمد لله عملت لكم ما وفقني الله اليه بعد وفاة أبيكم ومن قبل موته فأحببت أن أراك قبل الرحيل لتعلم انني احبك مثل كل إخوتك وكنت أتمنى أن تكون رجلا طيبا بعيدا عن الشرور والفساد ..

ـ أنا اليوم بخير واحسن من الأول .. لم اعد اسكر كثيرا منذ تزوجت هذه السيدة والتي اعمل معها في بيع الملابس الجاهزة وها نحن نفكر بفتح محل .. وانا اقدر شقاؤك معنا بعد موت أبي لكنني ضللت الطريق لم احسن اختيار أصدقائي .. الرعونة والجهل فظنّنا أننا كبارا بالسكر والتدخين ومعاكسة البنات .. نحن أنا وزوجتي عايدة بحاجة لمباركتك يا أمي وانا متألم فعلا لما أصابك من مرض وعملية وحضرت ملبيا لأحصل على مسامحتك

قالت عايدة : عافاك الرب يا أم سعدي .. للأسف حياة الناس كلها عذابات وشقاء .. واحيانا لا يرحم الإنسان نفسه لما يقع في الخطايا والاختلاط معهم .. وسعدي دائما يذكر كم بذلت من الجهد لإصلاحه وإبعاده عن الفسدة .. وها نحن نجتهد لعل الله يطعمنا ذرية صالحة

قالت الأم : أتمنى أن توهبا ذلك وان تعيشا بأحسن حال

قالت : شكرا يا حماتي ألف سلامة عليك

أشار سمير لشقيقه سعدي أن يخرجا للجلوس خارج غرفة المريض وتركا المرأتين مع أمهما

فقال سمير : عليك أن تتغير يا سعدي

ـ كيف سأتغير ؟

ـ بترك الشراب وبدء حياة سليمة .. دعك من حياتك العفنة الآسنة .. وعليك بالبعد عن رفاق السوء الذين تسكر معهم وتجلس معهم في المقاهي والخمارات .. أنت هل تشتغل في الشتاء ؟

ـ حسب الطقس اذا سقط الشتاء قبل الخروج للسوق نأخذ ذلك النهار إجازة أما عايدة فطريقة عملها طرق الأبواب والبيوت فلا يتوقف العمل عندها إلا برغبتها ..واذا شتت وانا في السوق شتاء شديدا بلملم البضاعة وبروح واقضي نهاري في احد مقاهي العمر ومع الليل بميل على خمارة وبشرب كأسا صغيرا وأعود للبيت لم اعد اشرب كثيرا

ـ امرأتك بتشرب مثلك

ـ قبل أن أتزوجها كانت تشرب مثل الشباب ، ولما مات برهومة زوجها الأول ابتعدت قليلا ولما تزوجت جارها غنيما عادت للشرب مثله .. ولما تزوجتها قللت منها كثيرا

قال بحزن : يعني ما زلتم تسكران

ـ تعودنا على السكر عندنا هو كشرب العصير والشاي

ـ وهل هذه حياة ؟ أنا لم قابلتك قبل الظهر كانت رائحة الكحول في فمي .. كأنك تخرج للشغل متعاطيا

ـ أحيانا بأخذ كأس صغير قبل الخروج لأنشط جسمي .. فالخمر تعطي الجسم نسبة دفء.. فعدت للبيت واغتسلت وجئت لزيارة أمنا

ـ لابد من ترك الشراب يا سعدي .. فحياتك بين الغواني والسكارى مزعجة .. قبل فترة رآك زوج أختك سميرة تخرج من حانة تترنح من الثمالة وشدة السكر

ـ هو يعرفني

ـ هو يعرفك من قبل الزواج من أختنا ، وتحدث معي عن الحالة البائسة التي أنت فيها فقلت تعود على ذلك من أيام حياة أبي ؛ وكلما رجع للبيت كان الوالد موسى يطرده شر طردة ومرات يضربه قبل الطرد

اخذ سعدي يتحسس جسمه ورأسه ويتذكر مشاكله مع أبيه عندما كان يحاول أن يعود للبيت سكران وكيف كان يشتم أباه ويلعنه ؟ ولا يصحا منها إلا وهو في شارع معتم أو زاوية جدار بيت فقال : أيام ملعونة

ـ دعك من الأيام الملعونة .. ابدأ حياة جديدة وسنساعدك أنا وسامر في حياتك البائسة فانت تقترب من الأربعين سنة لا أسرة مستقلة ولا ذرية تقر بها عينك .. سنشد ازرك هذه أمنية امك

تنهد وقال : كلي أخطا يا سمير كلي معاصي وجرائم قمت بها أو شاركت فيها كم ساعدت في تدمير اسر وبنات ؟

ـ مهما يكن فرحمة الله كبيرة .. سنكون معك .. أنت تسكن في بيت عايدة

ـ بعدما طردتني امك استأجرت لي بيتا في نفس حارتها ولما طلقها زوجها الثاني غنيم سكنت معها في بيت برهومة زوجها الأول وتزوجتني على امل أن تنجب ولدا ولحتى الآن لم يحصل

ـ ممن العجز؟

ـ من كلينا

***

قام سعدي وحده بزيارة أخرى لأمه عندما يكون صاحيا من السكر ، وفي المرأة الثالثة قيل له أنها ماتت ونقلت قبل ساعات للبيت ، فركب سيارة لبيت الأسرة فقال سمير لما صافحا بعضهما وعزيا بعضهما : كنت سأذهب للسوق لأخبارك .. كيف عرفت ؟

ـ ذهبت للزيارة قبل ساعة فقيل لي ماتت في الليل ، ونقلت لبيتها لتخرج جنازتها من بيتها فجئت

ـ وفرت عليّ المشوار .. للأسف نحن لا نعلم أين بيتك لليوم ؟

ـ أنا أعيش في حارة المجدلية لا اعرف من أين أتى هذه الاسم الغريب ؟

ـ سيكون الدفن بعد صلاة العصر .. ها هو سامر مع أزواج أختيك سميرة وسامية

انتقل اليهم وتعرف عليهم وسلم وعزى أخاه سامرا وأختيه باكيا ومتأثرا بموت امه وخيبته طبطب سمير على كتفيه قائلا : كان يجب أن تكون أنت سيد هذا الموقف فأنت الابن الأكبر لموسى

زاد نحيبه وتنحى بعيدا عنهم مستصغرا حياته وحقارته وهو يتمتم : نعم ، كان يجب أن أكون السيد الأول هنا ؛ لكنه بينهم الذنب ، ثم تذكر انه يجب أن يخبر عايدة لتحضر المأتم وتشارك النساء في البكاء فتحدث مع سمير في ذلك فقال له : اذهب واحضرها فالدفن وإخراج الجنازة بعد ساعات إلى الجامع للصلاة عليها ثم ننقلها لمدفن الحي

***

حادث صعب

انطلق ملخوما من حياته وفشله في إدارة الحياة الخاصة به ، ولم يجد عايدة في البيت خرجت تمارس عملها اليومي فاخبر سعيدة جارتهم بما حصل مع امه من الموت وطلب أن تخبر عايدة بذلك عندما تعود وذكر لها عنوان بيت أهله ثم فطن فقال : لماذا لم تخرجي للبيع ؟

ضحكت وقالت : الولد كان عاملا مشكلة في المدرسة مع احد الطلاب فطلبتني الإدارة فذهبت لأرى المشكلة فلم اسرح للعمل

ودعها وعاد لبيت العزاء فلما سئل عن عدم حضور عايدة قال : لم أجدها خرجت تشتغل وتركت لها خبرا عند الجارة

ـ هي شغلها الفر على بيوت الناس

ـ صحيح تعمل جولة بيع .. كل مرة في شارع أو شارعين وقبل العصر تعود من جولاتها اليومية يتآزر الأهل والأقارب والجيران للميت في دفنه بعد الصلاة عليه في احد جوامع الحي ، فقبل ارتفاع آذان العصر نقلت الجثة للمسجد الأقرب لبيتها، وبعد انتهاء صلاة الفرض سيقوم الإمام بصلاة الجنازة على الميت بأربع تكبيرات ثم يحملها الناس على الأعناق إلى مقبرة الحي حيث يكون أهل الميت قد حفروا لها حفرة بعمق مترين لتدفن فيها الجثة ثم يهال عليها التراب الذي أخرجوه من الحفرة وتترك بين يدي رحمة الله

طبعا سعدي لا يعرف الصلاة المفروضة ولا الصلاة الجنائزية فظل منتظرا هو وغيره ممن لا يعرفون تلك العبادات أمام بوابة الجامع ، وبعد ساعة من الزمن خرجت محمولة على الأكتاف ويتبادل الرجال حملها حتى تصل للمقبرة ، فالمسافة لا تحتاج لسيارة لنقلها وشارك سعدي إخوانه وجيرانه بحملها حتى وضعت في الحفرة ليقام بلحدها وفك عقدة الكفن ثم يبدأ الحاضرون بإنزال التراب عليها حتى عادت الحفرة ممتلئة بالتراب وانتقل القوم لديوان العزاء ليتناولو الطعام عن روح الميت ، وفي العادة يقدمه أقارب الميت أو جمعية تعاونية بين الأقارب لتوزيع العبء عن أسرة الفقيد وبعد الطعام يجلسون للعزاء لمدة ثلاثة أيام .

ولما رجع سعدي ليلا أول أيام العزاء تشاجر مع عايدة التي لم تحضر فقالت مبررة : تأخرت اليوم لأنني بعد الجولة ذهبت لشركة مطيع فجئت مع الغروب .. فوجدت الوقت متأخرا

ـ فضحتيني أمام العيلة .. كل واحد من الأخوة معه امرأته أو زوجي أختيّ إلا أنا

ـ لم اكن اعرف

ـ كذابة

ـ لست كذابة يا ملعون

ـ كنت تعلمين أن أمي بين يوم وآخر ستموت

ـ كنا نعلم لكننا لم نعلم الساعة

ـ كان الأولى أن تتوقفي عن العمل في انتظار هذه الساعة

ـ اسمع أنا لا اعرف اهلك ولا اعرف امك

صفعها كفا عنيفا وقال : تحرم العيشة معك

صفعته وقالت : ما عاش من صربني

قال صارخا : بعد العزاء نتفاهم .. أنت عاهرة تمدين يدك عليّ

وخرج غضبان من البيت وهي تصحيح : مع الف قلعة الحق عليّ اني لملمتك من الشوارع

***

نزل المدينة وسكن في فندق شعبي معروفا له وأجرته بسيطة وهو مجرد مكان للنوم وشرب الشاي ، لا يقدم خدمات كثيرة للزبائن كالأكل ، قضى الليلة فيه وهو يراجع حياته التعيسة والآثام التي عاشها وما زال يعيشها ، ولما حان وقت العزاء في الديوان ذهب اليه تظهر عليه علامات الكآبة وضيق الوجه فظن من يراه أن ذلك بسبب الحزن وموت امه التي كان يغيب عنها بالسنوات والأشهر دون مبالاة ودون اتصال ، وفي الليل عاد للفندق بعد تناوله الطعام في احد المطاعم القريبة من الفندق الصغير .

ذهب عصرا لبيت العزاء وهو اليوم الثالث والأخير ، ثم ينفض السامر كما يقال ، وسيقدم

أهل الميت عشاء للمعزين تلك الليلة ، فيكثر الحاضرون لوجود الطعام وفعلا حضر العشاء عن روح الميت كثير من الجيران والأقارب كيوم الدفن ، وممن حضر لهذا العشاء جار سعدي السيد غنيم ولما انتهى القوم من الأكل ورفعت الموائد عاد الناس الذين لم ينصرفوا لبيوتهم أو أماكن سهرهم للجلوس لبقية ساعات العزاء ، وانفرد غنيم بسعدي قائلا : حضرت وترجتني أن اصلح بينكم وتعتذر عملت فعلت معك وتخبرك أنها استأجرت محلا في شارع سيدو عدنان لبيع الملابس ستعملان به .. فأرجوك أن تقبل شفاعتي حتى لا تضطرني من الرحيل من الحي ستجنني اذا لم تعد معي الليلة

فكر قليلا وقال لنفسه : عليّ أن اختصر الشر هذه الأيام حتى تبرد روح أمي ..عليّ أن أتغير للأحسن كما يرغب الأخوة لماذا أظل بعيدا عنهم وأعيش مع مثل عايدة وسعيدة وغنيم

فقال : سأذهب معك .. قالت سعيدة يوم وفاة أمي إنها ذهبت للمدرسة من اجل وشأن عادل

ـ مشاجرة بينه وبين احد الطلبة

ـ بس

ـ بس .. وتعهدت للمدير بألا يكررها وانا لا اعتقد ذلك .. كما تعلم لم يترك أحدا في الحارة إلا وتنازع معه ..مرة يضرب وأخرى يحصل على علقة .. نحن في حيرة معه حتى انه مريض

ـ مريض ! ما هو مرضه

ـ لا نعرف بالضبط .. تجده قد ارتفعت درجة حرارته فجاءة .. وقد يبقى يوما في هذه الحالة والعيادة في الحارة تقول حمى وما سبب الحمى يقولون السبب غير واضح ونفكر بإدخاله المستشفى لعمل تحاليل وصور طبية

ـ هو الأفضل

عاد سعدي ليلا مع جاره غنيم فوجدها وسعيدة في انتظارهما فقبلت رأسه وأخذت تتمتم بكلمات اسف وندم ، واضطر إلى التجاهل وبعد شرب غنيم الشاي اخذ زوجته والعيال متمنيا لهم العودة للسعادة والسكون ، وقامت بالترحم على امه ثم قالت : هل تركت لك شيئا ؟

ـ لو تركت شيئا و لا اعتقد ذلك فلاحق لي فيه يا عايدة

ـ أنت ابنها بل بكرها

ـ سمعت غنيها يقول انك استأجرت محلا

ـ نعم سنبدأ من غد بتجهيزه هو قريب من مؤسسة مطيع لن نحتاج لنقل الملابس بسيارة سنوفر الأجرة والمحل أجرته معقولة وسنجلس فيه معا إلا بعض الأيام سأذهب لبيع زبوناتي اللواتي تعودن على حقيبتي السحرية

ـ على بركة الله

ـ هل عملت فحوصا طبية؟

ـ لم اعد صالحا للإنجاب

ـ دعني أرى ورقة النتائج

ـ مزقتها

ـ اسمع لا تضحك عليّ

ـ لم اعمل أي فحص و لا أريد الخلفة بعد مائة سنة

ـ بعدك شباب

ضحك وقال : أين الشباب ؟ انس موضوع الإنجاب وتربية الأطفال

ـ كيف انسى ؟! ما زال عندي امل

ـ أنت ضعيفة على الحمل كما قالت طبيبتك

ـ قالت في امل

ـ يبدو أن حياتنا لن تستقيم في ظل هذه الأمنية

ـ الطفل سيقوي حياتنا ويزيدنا ارتباطا ببعض

ـ لا اصدق هذه النظرية .. فها هن نساء عندهن دزينة من الأطفال ويتخلين عن أزواجهن دون أي اهتمام واي ارتباط

انطلقا في الصباح التالي إلى موقع المحل المستأجر لبيع الملابس هو محل صغير يشبه محلات النوفيتيه الصغيرة المساحة ،*كلمة "نوفوتيه" تشير إلى قطاع تجاري واسع يشمل بيع الملابس الجاهزة ، بما في ذلك الملابس الداخلية وملابس النوم ، والأحذية، والحقائب والمنتجات الجلدية والإكسسوارات، بالإضافة إلى بياضات الأسرّة وبعض أنواع الأقمشة ، الخيوط والأقمشة باستثناء أقمشة البرادي والستائر والمفروشات ، البياضات والشراشف بشكل عام ، هي تشمل محلات البيع بالتجزئة التي تبيع هذه الأنواع من المنتجات .*

تنتشر بيننا كلمات من اصل فرنسي منها : سكرتير، دكتور، راديو، طن، مليون، مليار، برلمان، مارشال، باسبور، باتيستا ، دزينة، ، نوفوتيه، بورجوازية، ماسوني، بطارية وغير ذلك

بعد حين حضر عامل الديكور لتجهيز المحل بالأثاث المناسب ورفوف المحل وبعد إلقاء نظرة واتفاق بينه وبين عايدة وعد بإتمام العمل خلال يومين ، فهو انشغل بتجهيز المتجر وعايدة انشغلت بالتعاقد مع متاجر الجملة لشراء الأشياء التي ستبدأ بها مع الملابس الجاهزة من وكالة مطيع وخلال عشرة أيام كان المحل يفتح أبوابه للزبائن واكثر زبائن هذا النوع من التجارة النساء وقليل من الرجال والعرسان .

وقضية الخلفة ما زالت مسيطرة على عايدة وترى أن العمر يمشي بسرعة بدون انجاب مثل سائر بنات جنسها المتزوجات ، وكان سعدي يرفض إجراء أي اختبار لقدراته الجنسية والإخصاب رغم إغراءات عايدة وتدخلات سعيدة وغنيم إلى أن حدث امر حسم الصراع وغير مجرى حياة سعدي ، كان يقف أمام مؤسسة مطيع وقد استلم كمية من البضاعة التي سينقلها لمتجر عايدة التي اتفقت عليها مع مطيع ، وكان سيحمل الكيسين ليقطع الشارع ليمشي عاتلا لهما نحو متجرها ، وبينما هو في نصف الشارع دهمته سيارة مسرعة إلى حد كبير ، ولم يتمكن سائقها من كبحها من الاصطدام بسعدي الذي سقط على الأرض يصرخ من الألم وتوقف السير وقام عمال مطيع بنقل الحمولة للمحل ، وحضرت سيارة الإسعاف ونقلته إلى احد مستشفيات الحكومة واجريت له إسعافات أولية ثم نقل إلى قسم العظام فكان لديه كسور في الساقين وربما في

الحوض لم تكن الضربة بسيطة ، ولما حضرت عايدة رفضت بقاءه في مستشفى الحكومة وأصرت على نقله لمستشفى خاص لإكمال العلاج ، وتحقق ذلك بعد انتهاء الإجراءات الأولية وأعطاها رقم مكتب شقيقه سمير لتخبره بما جرى له ، ولبى سمير وسامر النداء سريعا وتابعا علاجه أولا بأول حيث قضى أسبوعين في قسم العظام لمعالجة كسور الساقين والفخذين وتم نقله لبيت امه الفارغ وقال سمير لعايدة : تابعي شغلك ونحن سنتابع العلاج معه

فحمدت الله في سرها أن وجدت من يرعاه نيابة عنها ، وتذكرت حادث برهومة ؛ ولكنها لم تعان بسببه كثيرا فقد مات ، ولم يحتج لرعاية بيتية ، فكانت تزوره ليلا بعد إغلاق المحل ثم اضطرت لتشغيل فتاة معها بدلا عنه

***

تعتبر كسور العظام من الإصابات الشائعة في حوادث السيارات ، ويمكن أن تحدث في أي جزء من الجسم ، تختلف أنواع الكسور وشدتها حسب قوة الاصطدام ونوع الحادث ، من أكثر العظام تعرضًا للكسور في حوادث السيارات: عظام الوجه، والذراعين، واليدين، والمعصمين، والترقوة ، والعمود الفقري، والقص، والأضلاع، والحوض، والورك، والساقين، و تختلف مدة علاج كسور العظام الناتجة عن حوادث السيارات بشكل كبير بناءً على عدة عوامل، بما في ذلك نوع الكسر وشدته، والعمر والصحة العامة للشخص المصاب، ونوع العلاج المستخدم، ومع ذلك، يمكن أن تتراوح فترة التعافي من بضعة أسابيع إلى عدة أشهر، وفي بعض الحالات قد تصل إلى عام أو أكثر وعلى المصدوم تجنب التدخين والكحول فهما يمكن أن يؤخرا التئام العظام ، وعليه ممارسة العلاج الطبيعي فالعلاج الطبيعي يساعد في استعادة الحركة والمرونة والقوة في المنطقة المصابة .

***

لم تكن مشكلة سعدي فقط الكسور والجروح والرضوض والتورمات التي لحقت به فكانت هناك مشكلة الإدمان وتعاطي الكحول من زمن بعيد فكان محتاجا للعلاج منها أيضا .

علاج إدمان الكحول يشمل العلاج الدوائي، والعلاج النفسي، والدعم الاجتماعي، بالإضافة إلى تغيير نمط الحياة .

العلاج الدوائي: قد يشمل استخدام أدوية مثل الديسلفيرام، والنالتريكسون، والأكامبروسات هذه الأدوية تساعد في تقليل الرغبة في تعاطي الكحول ، وتخفيف أعراض الانسحاب، أو منع تأثير الكحول على الجسم .

العلاج النفسي: يشمل العلاج النفسي السلوكي المعرفي ، والعلاج السلوكي الجدلي والمقابلات التحفيزية يهدف العلاج النفسي إلى مساعدة الأفراد على فهم أسباب الإدمان، وتطوير آليات للتكيف مع المواقف الصعبة، وتغيير السلوكيات المرتبطة بالكحول .

الدعم الاجتماعي: تلعب مجموعات الدعم والبرامج العلاجية دوراً هاماً في رحلة التعافي توفر هذه البرامج فرصة للتواصل مع الآخرين الذين يعانون من نفس المشكلة، وتبادل الخبرات، وتلقي الدعم العاطفي والاجتماعي .

تغيير نمط الحياة: يتطلب علاج الإدمان تغييرات في نمط الحياة ، مثل ممارسة الرياضة بانتظام، واتباع نظام غذائي صحي، والبحث عن هوايات وأنشطة جديدة ، وتجنب المواقف والأشخاص الذين قد يحفزون على تعاطي الكحول

إدمان الكحول هو مصطلح يُطلق لوصف شخص يعاني من إدمان على الكحول، و يكون على الأغلب، عبارة عن رغبة بدنية أو نفسية لاستهلاك الكحول ، خارج قدرتهم على السيطرة عليه، بغض النظر عن كيفية تأثير ذلك في حياتهم، كالتخلّي عن التزاماتهم الأخرى مثل الأسرة والعمل ، يمكن للأهل التدخل، ممّا يدفع المدمن إلى دخول برنامج العلاج، وبمجرد دخولهم تساعدهم هذه البرامج، من خلال جلسات المشورة والتدريب، على الوقاية من الانتكاس، بما أنَّ نسبة عالية من الخاضعين للعلاج يتعرضون للانتكاس بعد العلاج، ممّا يجعلهم بحاجة إلى التمسك بالرعاية اللاحقة لبقية حياتهم.

يصيب مدمنو الكحول عندما يتوقفوا عن إدمان الكحول مجموعة من الأعراض منها: هناك

بعض الأعراض الانسحابية التي تصيب الشخص المدمن على الكحول عند التوقف عن الشرب وبدء العلاج ، منها: ارتعاش الأطراف واللسان والجفون بعد ٨ ساعات من التوقف عن التعاطي ، الغثيان والقيء ، الضعف العام ، سرعة ضربات القلب ، ارتفاع ضغط الدم، التعرّق الشديد، العصبية الشديدة ، الكآبة والحزن، الصداع ، جفاف الحلق، آلام المعدة ، هلاوس سمعية بعد التوقف عن الشرب بنحو ٨ إلى ١٢ ساعة، نوبات من الصرع .

***

قامت العائلة بعد تحسن الوضع الصحي للرجلين لسعدي بإدخاله مركز طبي يعالج الكحول فهو وإن لم يكن مدمنا عليها إلى حد كبير فهو يتعاطاها من أيام مراهقته واحيانا كان يسكر حتى الثمالة وفقدان الوعي والتوازن ، فبدأ يتعالج منها في البيت ، وكان أحيانا ينقل للمستشفى وأماكن العلاج ، ولما مضت اكثر من ثلاث اشهر على سقمه طلبت عايدة الانفصال ، وتدخل غنيم بعرض الفكرة فرحب أخواه بذلك العرض ، فلم تدخل لهم من زور كما يقال رغم أن طيبتها اكثر من شراستها وسوء لسانها ، حصل الطلاق بدون ضجيج .

واستعان سمير بخادمة تعنى به أثناء وجوده في العمل ، فكانت تساعده في الطهي وتقديم الطعام والماء وما يحتاجه ، وإن تعرض لتعب تتصل به أو بسامر ، وكان يحضر له مدرب العلاج الطبيعي ، وكان أحيانا يقضي أياما في مراكز علاج الإدمان ، وقرب السنة على الحادث تحسن واصبح قادرا على المشي بدون عكازات أو عربة معاقين ومشلولين ، وبعد السنة تخلص من عواقب الكحول إلى حد كبير ، وقد كان عاجزا عن شكر اخويه عن الذي قدم له خلال هذه المدة من الرعاية والإنفاق ، فقد كان يقضي ساعات من الليل يبكي ويتحسر على الانحراف الذي عاش فيه وتأكد له ؛ كما يقول سمير أن حياته عفنة فاسدة .

لما سمعت عايدة بتحسن وضعه وقدرته على المشي ولو ببطء تمنت ولو لم تكن تسرعت في الانفصال ؛ ولكنها رغبتها بالخلفة نسيت فكرة العودة لسعدي وخلال العام لم تستطع الالتقاء برجل يقبلها كزوجة ، ولم ينشط غنيم بمساعدتها بذلك ومرة قال لها أثناء سهرة : هل انظر لك

سعديا ؟

ـ فكرت وناقشت الأمر مع سعيدة

فهزت سعيدة رأسها أنهن فكرن بذلك وقالت سعيدة : صاحبك لا يرغب بالإنجاب وعايدة تريد ذلك

قالت عايدة : ما زال لديّ أمل بتحقق ذلك

فقال غنيم غير مكترث لمشاعرها وأملها : أنت يجب أن تعترفي بالعقم .. لم تعد سنك مناسبة للحبل أنت نفسك قلت إن الطبيبة النسائية قالت لك نسبة الحمل متدنية لا تزيد عن ١٠٪ .. كان من الخطأ التخلي عن سعدي تشبثا بهذا الأمل الضعيف في آخر زيارة لي له قال إن إخوته يبحثون له عن ارمله أو مطلقة من سنه تعيش معه كزوجة

قالت سعيدة : الحق أن إخوته كرماء وأجواد يا عايدة ..لم يتخلوا عنه كما تخلى عنهم أيام الصبا

قال غنيم : حقيقة كما قلت ناس أفاضل تحملوا العلاج والأوقات للوقوف معه فكلما كنا نذكر ذلك الإحسان يغرق المسكين في البكاء والندم

قالت عايدة : أنا لما تحملوا العبء عني كدت أطير من السعادة .. لا طاقة لي على رعاية المرضى وترك العمل كان يوم عيد وسعادة لما تحملوا المسؤولية لم يضغطوا عليّ بحكم انني زوجة له

قال غنيم : الله لا يبتليك .. فأنت لا أهل ولا زوج

قالت عايدة : فكرت بحالي لو حصل لي مكروه صعب سأموت كمدا لا أم ولا أخ ولا ابن

قالت سعيدة : لن ننسى حق الجيرة يا حبيبتي

ـ هذا العشم كما يقال ..

***

بعد فترة سكون سعت عايدة للعودة لسعدي بأن قامت بنفسها بزيارته لتطمئن عليه وعرضت عليه العمل معها في المتجر فرفض وقال : أنا الآن لا اصلح زوجا ولا اصلح عتالا .. بدأت أروح على الجامع القريب ؛ لعل رحمة ربي تصيبني كما تقول أخواتي وإخوتي فمهما ارتكب

الإنسان من الآثام والمعاصي فعفو الله اكبر

قالت : سمعت من غنيم انهم يبحثوا لك عن امرأة

ـ صحيح .. امرأة ؛ ليست مثل عايدة لما تكسرت رجلي طلبت الطلاق فورا

ـ يا سعدي الشغل لا يحتمل الجلوس معك

ـ هذه قلة وفاء يا بنت الناس من الأهم أنا أم الشغل ؟!

ـ أنا لم احسن التفكير

ـ أنا لم انس الكف يوم موت أمي

ـ كنت غضبانة .. أنا سيئة يا سعدي سامحني

ـ لا تفكري بأن نعود .. هذا كما نقول عشم إبليس في الجنة

ـ نسيت العشرة

ضحك وقال : أنت من نسيت العشرة وصرت تبحثين عن طفل بعد فوات الوقت .. يبدو انك لم تجدي من يحقق لك هذا الهدف

***

استغرب اخوه سعدي من وقاحة عايدة بطلب العودة كزوجة مما دفعهم في المسارعة بالبحث عن امرأة ولو كانت اكبر منه سنا لترعاه ، وهم الذين سينفقون عليها ، فكان وقوفهم العجيب معه مثار إعجاب أهل الحي والمعارف والأقارب ، وذات مساء جاءت عايدة وسعيدة لعيادته ولأمر آخر فقد اختفى غنيم عن البيت منذ ثلاث ليال فكن يظنّن انه اخبر سعديا شيئا

فقال سعدي : مر عليّ من أسبوع وكان حديثنا عن الصحة والعلاج

قالت سعيدة : ما بالك حدث معه ؟

ـ سألتم في المستشفيات قد يكون تعرض لحادث وراح في غيبوبة لم يستيقظ منها

قالت عايدة : ذهبنا لمركز الشرطة فقال لم نسمع بهذا الاسم والحوادث لا تنتهي وطلبوا منا أن نمر عليهم كل يومين ثلاث لعله في غيبوبة كما قلت

ـ لا اعرف شيئا هو يأتي زائرا ونشرب الشاي ويدخن سيجارة هو يغادر وانا امشي للمسجد

قالت سعيدة : وجدت زوجة

ـ ساجد

ـ ارجع لعايدة

ـ إخواني كلهم   يرفضون ذلك .. وانا ارفض اكثر منهم .. عايدة تخلت عني عند الحاجة .. خائفة على الشغل اكثر مني يا أم عادل .. ولا احب أن تمررن عليّ فهذه آخر مرة ؛ ليس في البيت نساء حتى الخادمة تركتني

نهضن مودعات ولما اختفين قال سعدي لنفسه : اخشى أن يكون قد تزوج دليلة .. في زيارته الأخيرة كان يسأل عن كيفية حياتي معها مما أثار دهشتي وعن معرفته بدليلة .. ما قصة هذه المرأة والأزواج وتبديلهم كشرب الماء

***

القصة هي كما حصل لسعدي من سنوات صدف أن كان غنيم في مقهى أبي عبدة في وسط المدينة حيث التقى عدي وشلته بعيد وسعدي فقال عدي : أوه سيد غنيم لي سنوات لم ارك من أيام المرحوم عيد

ـ هو عيد ميت

ـ قيل لنا انه مات في بيروت .. كيف شغلك ؟

ـ زمان تركت الشغل منذ تزوجت العمة سعيدة

ـ هي التي تصرف عليك

ـ يعني بيننا تعاون

ـ عندي مشروع ما رايك ؟

ـ مشروع ماذا ؟

ـ زواج

ـ أنا عندي زوجة

ـ واحدة ثانية .. سنزوجك واحدة زواج شكلي ..مجرد زوج أمام الناس

كان غنيم يعلم أن عديا احد القوادين في البلد ويشتغل معهن مقابل عمولات منهن فقال بعد رشف عدة رشفات : كم الفائدة ؟

ـ أنت مستعد لتقبل دور الزوج

ـ المهم المال والشراب

ـ ستتأجر لكما شقة مفروشة ، وهي التي ستدفع الأجرة ، وستؤمن لك الأكل والخمر ولك مائة دينار آخر كل شهر .. هذه اهم الشروط .. وواجبك أن تعيش في البيت وهي تعمل في شغلها الخاص بها ولا تسألها أين كنت ومع من نمت؟ أنت أمام سكان العمارة زوج دليلة .. غابت عنك يوما أو شهرا ولا تهتم .. عاوز تروح امرأتك سعيدة اذهب واحرص أن يكون ذلك في النهار حتى من يراك يظن انك تشتغل .. ولا يجب أن تعرف زوجتك انك متزوج عليها اعمل نفسك تشتغل حارس عمارة ليلي أو سوق

ـ انتم ماذا تستفيدون من ذلك ؟

ـ سؤال فضولي يا سيد غنيم .. باختصار هو شغل .. هذه المرأة الغانية لها علاقات مع رجال مهمين في البلد .. تمارس معهم الخدمات الجنسية التي تعجز عنها زوجاتهم فيلجئون لها فهي محترفة دعارة هي تستفيد وانا استفيد وأنت تستفيد هكذا الدنيا .. سأرتب الأمور واتصل بك أو أنت ظل مر على مقهانا التاريخي

***

يعد هذا اللقاء زار غنيم جاره سعديا ولف ودار حول عيشته مع دليلة فهو يعلم من عايدة بزواجه منها قبل طلاقها وزواجه من عايدة ، فتسلى معه سعدي بالحديث عن أيامه معها ولم يتحدث غنيم عن العرض الذي قدمه له صديقهم عدي ؛ لذلك لم يتنبه سعدي لما هو مقدم عليه الرجل إلا لما جاءت زوجته تسأل عن غيابه ؛ فادرك على الفور أن غنيما يلعب لعبة مع

دليلة ، ولما خرجن مطرودات تسأل عن تفاصيل هذه اللعبة فقال : ما هي بنت فاجرة فما الحاجة لزوج ظاهريا ودفع إيجار شقة وراتب للزوج فقد للنوم ولزوج فيها ؟ وماذا ينتفع عدي من هذه التغطية ؟ ولم يجد إجابة تفسر ما تفعله دليلة لعشاقها مقابل المال الكثير .

تابع غنيم المقهى حتى التقى بعدي من جديد وأخذه إلى نادي ليلي يسهرون فيه وعرفه على دليلة وعقد الاتفاق بينهم وقام غنيم باستئجار شقة مفروشة في احدى المباني الضخمة وبعد عقد الكتاب اخذ عروسه للشقة وكانت تخرج المرأة في ساعات الليل ، ويلزم الصمت كما اتفق على ذلك ، وكان قد تأكد من عدي بأنها لا تنجب خشية أن يخدع ، هو ما يهمه المال والطعام والشراب ، تغيب عن بيت الزوجية اكثر من عشر ليال عندما قام بأول زيارة ، فصاحت فيه : أيها اللعين أين اختفيت حتى بلغنا الشرطة عنك ؟!

ـ ألم اقل لك عندي رحلة بعيدة ؟

ـ نسيت وانا ظننتها رحلة يومين ثلاث

ـ ثم وجدت عملا بعيدا إلى حد ما .. قد اكثر من الغياب

ـ ما هو العمل الذي سيغيبك عنا ؟

ـ صاحب لي توسل لي بالعمل حارسا لعمارة يقوم بإنشائها مقابل مائة دينار شهريا حتى ينتهي البناء فقبلت العرض .. وها هي أول دفعة خمسون دينارا احتفظي بها احسن أن تضيع

تناولت الفلوس وهي في دهشة من العمل الذي سيقوم به غنيم ومن إعطائها الخمسون دينارا فلزمت الصمت والسكوت وصدقت ما تفوه به من عمل كحارس للحديد والإسمنت لعمارة ستبنى حتى من دهشتها لم تسأل عن موقع العمارة إلا انه بعيد ، وعند المساء ودعها وقال : قد امر عليك أثناء النهار بوجود العمال للعمل .

***

لما عادت عايدة بعد انصراف غنيم بعد هبوط الليل أسرعت إليها بطفليها مخبرة إياها بظهور غنيم مما ادهش عايدة جدا ، والأعجب انه يعمل حارسا ليليا لعمارة قيد الإنشاء .. غنيم

الكسول يشتغل ، فهو منذ ترك ورشات الزفتة وهو يعيش على كد سعيدة ، فلم يرق ذلك لعايدة ولم تقتنع أن غنيما يعمل ، ولكن الأمر لم يشغلها كثيرا ، فهو حر بغيابه وحضوره ، فهي كانت مشغولة بمطاردة رجل في احد محلات مطيع لتتزوجه بعدما وافق مبدئيا على الاقتران بها ، هو رجل في الخمسينات عرفها عليه مطيع مرغبا لها بالزواج منه ، لما طلبت مساعدته بإيجاد ابن الحلال ليعيش معها ، وكان الرجل يعمل عتالا مع مطيع والمحلات المجاورة له ، فالرجل ترمل من شهور ، فعرضت عايدة عليه الاقتران بها ؛ ولكن أولاده يرفضون فكرة زواجه وهو يحاول إقناعهم .

كان غنيم بين وزمن وآخر يأتي سعيدة ويتغدى معها والأطفال ويعطيها بعض المال لتحتفظ به ويقول لها : كم شهر وينتهي البناء عمارة من خمس طوابق !

فهي ملزمة بتصديقه ما دامت ترى المال بين يديها ، وأخبرته أن عايدة وجدت عريسا وهو عتال يعمل في محلات مطيع ؛ ولكن أولاده يعترضون بعد وفاة أمهم على زواجه من أي كانت ، فتمنى لها التوفيق ، وقبل الغروب غادر البيت رغم أن له خمسة أيام لم يقابل دليلة ، وهو يفكر ومشغول الذهن بالأعمال التي تقوم بها غير الدعارة وأين تختفي كل هذه الأيام حتى لما ينزل المقهى منذ عمل مع عدي ومعها لم يره ، ذات ليلة اقتحمت الشرطة الغرفة وفتشت الشقة ومعها كلاب البحث عن المخدرات ، واقتيد الرجل لمركز الشرطة مشتبها به ببيع المخدرات ، وهو لم يفهم العلاقة بين دليلة والمخدرات ، وعند التحقيق شرح للمحقق قصته مع دليلة وانه مجرد زوج بدون أي علاقة جنسية معها ، فاخبره المحقق أن عشيقته قد قتلت أثناء عملية تهريب ، وتبين أنها ترافق الشخصيات متظاهرة بأنها غانية وعشيقة لتهريب الممنوعات بصحبتهم فلا تتعرض حقيبتها للتفتيش مثلهم ، احدهم اشتبه بشيء غامض يجري في رحلته وتبين أن مخدرات في ثيابها التي لم تتعرض للتفتيش بحكم أنها مرافقة لتلك الشخصية وان الزواج تغطية بانها ذات زوج وانها تخونه مع العشاق .

وتبين له أن قتلها حدث نتيجة خطأ عندما ذهبت لمكان ما لتستلم الهيروين أو الكوكايين ،

حدث ارتياب عند مداهمة شرطة المكان ، وجرى تبادل اطلاق نار فأصابتها رصاصة بالخطأ ، وثبت لجهة التحقيق أن لا علاقة لغنيم بالمخدرات والتهريب فأخلي سبيله فأخلى الشقة وتكفل بدفع باقي إيجار الشقة وعاد لبيت سعيدة يلتمس السعادة وقال : لقد انتهت الحراسة يا سعيدة واحضروا رجلا غيري ، فقد حدثت سرقة في العمارة وبرأتني الشرطة من ذلك .

فقالت : الحمد لله السلامة .. اشتغل مع عايدة تريد شخصا يعمل معها في المحل

ـ ألم تتزوج ذاك الرجل الأرمل ؟

ـ لم تقبل أسرته زواجه منها ورضي بذلك

ـ تعجلت بتخليها عن سعدي سأقوم بزيارة له ما دمت قد تركت حراسة ... وسكت قبل فلتة لسانه

***

رحب به سعدي احر ترحيب وبعد الثرثرة والأحوال قال : هل تزوجت دليلة ؟

دهش غنيم وقال : ويلك كيف عرفت ؟!

ـ منك

ـ مني ! لا اذكر انني رأيتك منذ تزوجتها

ـ صحيح أنت لم ترني .. ولكنك قبل زواجك منها جئت وسألتني عن حياتي معها

ـ فعلا حدث هذا !

ـ وبعد ذلك بفترة جاءت سعيدة وعايدة يسألونني عن غيابك عن البيت منذ أيام فادركت أن عديا قوادها عرضها عليك كما عرضها عليّ من قبل

ـ يا ! لم اكن اعلم بأنك بكل هذا الذكاء .. فعلا تزوجنا كما كنت أنت مجرد زوج .. ولكنها قتلت

انتفض سعدي وقال : قتلت !

ـ نعم ترملت ! قتلت أثناء ذهابها لتسلم شحنة مخدرات

ـ ماذا ؟ قلت مخدرات !

ـ تعمل في الدعارة وتهريب المخدرات يا صديقي

ضرب رأسه وقال : يا لي من غبي !

ـ لماذا أنت غبي ؟

ـ مرة كنت اجلس أو اقف أمام العمارة التي فيها شقتنا المفروشة اقتربت مني سيارة مدنية ونزل منها شابان ، وقال لي احدهما أنت زوج دليلة بائعة الهوى في ملهى الوردة الذهبية قلت نعم أن زوجها ؛ ولكنني لا اعرف ملهى الوردة الذهبية . .فقال الثاني : كم شهرا لك متزوج منها ؟ قلت من أسبوع أو عشر أيام . . فقال : هي في التحقيق وجدوا في الملهى مخدرات

ـ ولم اسألها لما عادت عن الملهى ولا عن المخدرات . . فهي تجلب المخدرات باسم الدعارة للملهى يا غنيم . .

ـ المهم أوقفوني ثلاثة أيام ، ثم اطلق صراحي وقد اخبروني بمقتلها في قبرص في موقع تسليم مخدرات . . هل تزوجت كما ذكرت لي في الزيارة الماضية؟

ـ على وشك وجدوا لي امرأة اكبر مني بسنوات قبلت بالزواج من رجل مثلي

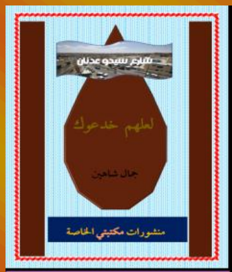
تمت بفضل الله حكاية من حكايات شارع سيدو عدنان الشهير في مدينتنا

المحتويات


{هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ}

قصص شارع سيدو عدنان

١
لعلهم خدعوك



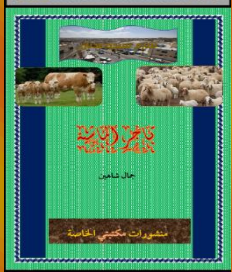
٢
غربة مهرب



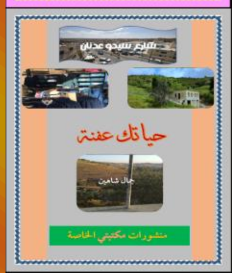
٣
زوجتك ابنتي



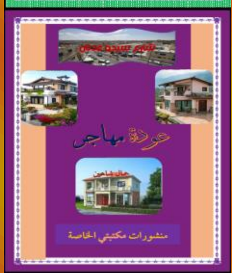
٤
تاجر الماشية



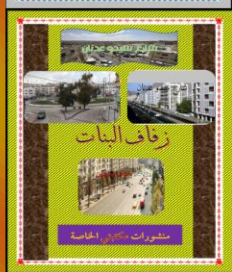
٥
حياتك عفنة



٦
عودة مهاجر



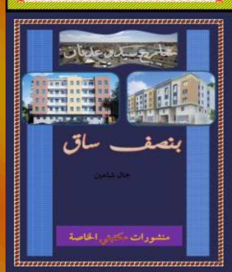
٧
زفاف البنات



٨
مقام رفيع



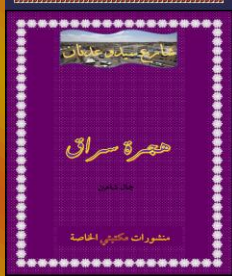
٩
بنصف ساق



١٠
ميراث البحار



١١
هجرة سراق



١٢
عضو البرلمان



شارع سيدو عدنان

٥

عرفنا بعضنا منذ أول الدنيا قبل المدرسة ، كنا أبناء مدرسة أساسية واحدة ، كان شرسا مع الطلاب ، منذ دخنا أول سيجارة سوية عرفنا السينما والمقاهي والخمارات والفاحشة ، ولما ترملت أمي لم أقم بالواجب اتجاه الأسرة ، عشت حياتي الحرة بزعمي وشاركت في قضية خطف بدون تدبر والقصد إنقاذ الفتاة من القتل



وكذلك صديق المراهقة ، رحلوا لبلد آخر فسكنت روحي من هواجس الجريمة والخطف ، ثم بعد حين قتل رفيقي في بيروت والفتاة أصبحت تعمل في بيوت الخنا ، وتزوجت بائعة شنطة عرفتها أيام الوكالة للألبسة الجاهزة ، دهس زوجها ومات ، فتزوجها جارها طمعا بما ورثت من موت زوجها ، ثم كنت الثالث لها كزوج ، ولما ماتت أمي تعرضت للدعس ولم أمت كصاحبها الأول ، كان الطلاق بيننا بسبب الحادث ، واعتنى بي إخواني الذين لم أساعدهم يوما بفلس واحد ؛ وكان ذلك الاعتناء بسبب حادث سيارة تعرضت له اعجز ساقي وأصبحت عالة عليهم وما زلت فهذه قصتي مع الحياة .. سعدي موسى .